إشكالية تعلق القدرة بالحادث وعلاقتها بالعلم القديم
بين الإمام الشعراني (ت٩٧٣هـ) ــ والإمام الكوراني (ت١٠٢٥هـ)
(دراسة تحليلية)

إعداد

د/مديح عبدالله عبد الجواد حسن

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين بالزقازيق جامعة الأزهر

من ٩١ إلى ١٩٠

The Problematic Relation of Divine Power (Qudra) to Contingent Events and Its Link to Eternal Knowledge (Al-'Ilm Al-Qadim): An Analytical Study between Imam Al-Sha'rani (d. 973 AH) and Imam Al-Kurani (d. 1025 AH)

Prepared by
Dr. Madih Abdullah Abdul-Jawad Hassan
Assistant Professor, Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion (Zagazig), Al-Azhar University.

إشكالية تعلق القدرة بالحادث وعلاقتها بالعلم القديم بين الإمام الشعراني (ت٩٧٣هـ) ـ والإمام الكوراني (ت١٠٢٥هـ) (دراسة تحليلية)

مديح عبدالله عبد الجواد حسن
قسم العقيدة والفلسفة ،كلية أصول الدين فرع الزقازيق، جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني: Madih.Hasan201@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

نحمدك اللهم يا من انفردت بالعلم والتدبير، والإيجاد والتأثير، وتقدست عن الشركة في عموم الاختيار والتقدير، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه (أما بعد).

مسألة مدى تطابق تعلق القدرة بالعلم من المعضلات العقدية؛ لاختلاف المفكرين فيها قديمًا وحديثًا وهي راجعة للصفات لا للذات، والمشكلة تكمن في: هل ما كشفه العلم الإلهي في الأزل أوجدته القدرة الإلهية فيما لا يزال بدون زيادة ولا نقصان، أم ما أوجدته القدرة استفاد منه العلم؟ وبرغم خلافهم هذا فهناك اتفاق في المبدأ وهو أن لله صفات، فهناك من أثبتها ومنهم من نفاها، حتى الذين أثبتوها اختلفوا في هذا القدر المتفق عليه فيما بينهم، فاختلفوا في عددها وتعلقها، وموضوعنا هذا يبحث في مشكلة علاقة القدرة بالعلم، ومدى تعلقهما بالذات الإلهية، فتوصلنا إلى أن:

ـ العلم كاشف للأشياء، والإرادة تخصصها, والقدرة توجدها أو تعدمها، فلا يستفيد منها العلم.

ـ علم الله الأشياء في الأزل, فخصصته الإرادة، لتوجده القدرة فيما لا يزال.

ـ العلم الإلهي محيط بالأشياء قبل وجودها، فلا يستفيد بوجودها علمًا جديدًا.

ـ فيجب اعتقاد: أنه تعالى علم الأشياء قبل وجودها في عالم الشهادة، ثم أوجدها على حد ما علمها، ولم يزل عالما بالأشياء، فلم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء.

ـ اتفق أهل النظر، وأهل الكشف في تلك المسألة، وإن وجد خلاف فلفظي راجع إلى عدم تحري النقل، أو الاستدلال بالنصوص في غير موضعها.

ـ رغم اختلاف مشارب الإمامين إلا أن هناك توازن في منهجهما.

ـ انتهى الإمام الشعراني إلى أن تلك المعضلة متوقفة على الكشف الصحيح وحده, بينما انتهى الإمام الكوراني أن لأهل النظر كلام لا يقل أهمية عن كلام أهل الكشف.

الكلمات الافتتاحية:العلم الإلهي ؛ القدرة الإلهية ـ التعلق ؛ مدى تطابق تعلق القدرة بالعلم في عالم الشهادة.

The Problematic Relation Of Divine Power (Qudra) To Created Events And Its Link To Eternal Knowledge (Al-'Ilm Al-Qadim) : An Analytical Study

Between Imam Al-Sha'rani (d. 973 AH) And Imam Al-Kurani (d. 1025 AH)

Madih Abdullah Abdul-Jawad Hassan

Department Of Creed And Philosophy, Faculty Of Fundamentals Of Religion (Zagazig Branch), Al-Azhar University.

Email: Madih.Hasan201@azhar.edu.eg

Abstract:

We praise You, O God, for You are unique in knowledge and management, in creation and influence, and are sanctified from any partnership in the universality of choice and predestination. We send prayers and peace upon our Master Muhammad, his family, and his companions (and now).

The question of the extent to which power and knowledge are compatible is one of the doctrinal dilemmas that has been the subject of disagreement among thinkers, both ancient and modern. It relates to attributes, not to the essence. The problem lies in: Was what divine knowledge revealed in eternity brought about by divine power in what remains, without increase or decrease, or was what power brought about made possible by knowledge? Despite their disagreement, there is agreement in principle, which is that God has attributes. Some have affirmed them and some have denied them. Even those who affirmed them differed on this agreed-upon amount, so they differed on their number and their connection. Our topic here examines the problem of the relationship between power and knowledge and the extent of their connection to the divine essence. We have concluded that:

- Knowledge reveals things, will specifies them, and power brings them into existence or annihilates them, so knowledge cannot benefit from it.
- Knowledge of things existed in eternity, so will specifies it, so that power may bring it into existence in the hereafter.
- Divine knowledge encompasses things before their existence, so new knowledge cannot be derived from the existence of things.
- It is necessary to believe that God Almighty knew things before they came into existence in the visible world, then He brought them into existence based on His knowledge. He has always been knowledgeable of things, and His knowledge does not renew when things are created.
- The scholars of reason and the experts in knowledge agree on this issue. Although there is disagreement, it is verbal and stems from a failure to carefully examine the transmission or to use texts in inappropriate contexts.
- Despite the two imams' differing views, there is a balance in their approach.
- Imam al-Sha'rani concluded that this dilemma hinges on authentic revelation alone, while Imam al-Kurani concluded that the people of contemplation have a position no less important than that of the people of revelation.

Keywords:Divine Knowledge ; Divine Power ; Interdependence ; The Extent Of The Connection Between Power And Knowledge In The World Of Testimony.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ـ القادر علي كل شيء، والمحيط به علما ـ حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، سبحانه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،، وبعد،،،

تحيد مشكلة البحث:

كثر الجدال في الصفات الإلهية عامة، وعلاقة الصفات بالذات خاصة، حتى صارت مسألة خلافية بين المتكلمين، وبرغم خلافهم هذا اتفقوا على مبدأ: وهو أن لله صفات، واختلفوا في تطبيق هذا المبدأ المتفق عليه فيما بينهم، فهناك من أثبتها، ومنهم من نفاها، حتى الذين أثبتوها اختلفوا في هذا القدر المتفق عليه فيما بينهم، من حيث عددها، وتعلقها، وكونها عين الذات أو غيرها، وموضوعنا هذا يبحث في مشكلة مدى تعلق القدرة بالعلم، ومدى تعلقهما بالذات الإلهية، ومدى تطابقهما عند وجود الحوادث.

زد على ذلك أن هذا البحث يعتني بالإجابة عن تساؤلات فحواها: هل ما كشفه العلم الإلهي في الأزل أوجدته القدرة الإلهية فيما لا يزال بدون زيادة ولا نقصان؟ أم ما أوجدته القدرة استفاد منه العلم ؟ يعني أن الله تعالى علم الأشياء قبل وجودها في عالم الشهادة، ثم أوجدها على حد ما علمها، ولم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجددها، وهنا تظهر مشكلات منها: على فرضية صحة الاحتمال الأول بكون تعلق القدرة واجبا فيكون قديما رغم تعلقها بالممكنات اتفاقا، ومع فرضية صحة الاحتمال الثاني، فيكون العلم الإلهي غير شامل ولا محيط؛ لأنه يستفيد مما توجده القدرة بتعلقاتها:

التعلق الصلوحي القديم: أي أن قدرة الله تعالى صالحة في الأزل لأن توجد وتعدم الممكنات فيما لا يزال فهي صالحة أولا لإيجاد الممكن وإعدامه.

التعلق التنجيزي الحادث: أي أنه تعالى يوجد الممكن ويعدمه فيما لا يزال بقدرته.

أما تعلق العلم: فهو الكشف للأشياء في الأزل قبل إيجادها فيما لا يزال يعني: الواجب اعتقاده أنه تعالى علم الأشياء في الأزل قبل وجودها في عالم الشهادة، ولو صح أن العلم يستفيد بوجود المحدثات، فكيف يتفق هذا مع قوله تعالى: ﴿ **وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيءٍ عِلمًا** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **لِتَعلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيء قَدِير وَأَنَّ ٱللَّهَ قَد أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمَا** ﴾[2]، فهذه الآيات يوهم ظاهرها أنها تصطدم مع قوله تعالى:

---

(١) سورة الأعراف الآية ٨٩.

(٢) سورة الطلاق الآية ١٢.

﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾[١]، وغيرها من الآيات التي يوهم ظاهرها أن العلم الإلهي يستفيد بوجود الممكنات.

أهمية البحث وسبب اختياره:

والواضح أن هناك مشكلات كلامية، وأخرى نقلية، ومن خلالهما ظهرت: مشكلة البحث، وأهميته، وسبب اختياره، فعلاوة على ما سبق ذكره تبلورت مشكلة البحث؛ فأي بحث تظهر أهميته، وسبب اختياره لأمرين: الأمر الأول: يرجع لشخص مؤلفه، الأمر الثاني: يرجع للموضوع ذاته.

فأما بالنسبة للأمر الأول: وهما الإمامان (الشعراني ـ والكوراني) جديران بالبحث لأسباب منها: الكشف عن مذاهب الفرق الإسلامية عموما، وأهل السنة والجماعة، وأهل الكشف خصوصا من خلال فكر الإمامين في مسألة: مدى تطابق تعلق العلم بالقدرة إثباتا ونفيا، وكذا معرفة منهج الإمامان حيث يمثل أحدهما البرهان، والآخر العرفان في تلك المسألة، وأيضا إظهار عظم مكانة هذين الإمامين ودورهما البارز في علم العقيدة الإسلامية.

وأما بالنسبة للأمر الثاني: وهو الموضوع ذاته فهو جدير بالبحث؛ لأنه يجيب عن بعض التساؤلات التي قد تطرأ على أذهان البعض منها: هل القدرة تتعلق بالواجبات، أم المستحيلات أم الممكنات؟ كذا العلم يتعلق بالكل أم ببعضها دون البعض؟ وعند الإجابة على ذلك يصبح هناك توازنًا بين الإيمان كمعتقد، والعمل الصالح كسلوك، وأيضا فك ما يوهم ظاهره من تعارض بين الآيات النقلية، وهل اتفق متكلمو أهل السنة والجماعة فيما بينهما في هذا الموضوع أم اختلفا؟ هذا من ناحية، وبينهم وبين أهل الكشف من ناحية أخرى؛ هل العلم الإلهي يستفيد علما جيدا بوجود المحدثات أم لا؟

لكل ما سبق اخترت هذا البحث بعنوان: **إشكالية تعلق القدرة بالحادث وعلاقتها بالعلم القديم بين الإمام الشعراني (ت٩٧٣هـ) ـ والإمام الكوراني (ت١٠٢٥هـ) (دراسة تحليلية)**؛ ولتحقيق كل ذلك اعتمدت على منهج وخطة بحثية كما سيأتي لاحقًا.

أهمية الدراسة:

تتجلي أهمية هذه الدراسة في أربعة أمور:

الأمر الأول: أهمية الموضوع الذي يدور حوله الدراسة: وهي مدى مطابقة تعلق القدرة بالعلم الإلهي، وأنه لا يستفيد علماً جديداً بالتعلق التنجيزي الحادث للقدرة, وأهمية ذلك في علم الكلام.

الأمر الثاني: الكائنات ما شمت راحة الوجود: والعلم كاشف لها على ما هي عليه في نفسها.

---

(١) سورة محمد الآية ٣١.

الأمر الثالث: دور الإمامان الشعراني، والكوراني: وتتجلى في مساهمتهما في علم الكلام عامة وهذا الموضوع خاصة.

الأمر الرابع: رغم علم الإمام الكوراني الجم وكثرة مؤلفاته: إلا أن هناك ندرة في معرفته ومعرفة مؤلفاته.

تساؤلات حول الدراسة:

أثناء دراستي تعرضت للإجابة عن عدة تساؤلات منها:

التساؤل الأول: ما حقيقة العلم الإلهي والقدرة الإلهية؟

التساؤل الثاني: ما علاقة العلم الإلهي بالقدرة الإلهية، وما مدى تطابقهما عند أهل الكشف والنظر؟

التساؤل الثالث: هل العلم الإلهي يستفيد علما جديدا مما توجده وتعدمه القدرة فيما لا يزال؟

التساؤل الرابع: ما مدى تطابق تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم؟

التساؤل الخامس: ما رأي الإمامين الشعراني، والكوراني في هذا الموضوع؟

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة سابقة حول هذا الموضوع، لا تحليلية، ولا نقدية، أثناء بحثي حول هذا الموضوع، اللهم إلا بعض المحاولات البسيطة لبعض الأئمة.

منهج البحث:

اتبعت في كتابتي لهذا الموضوع:

١ـ **المنهج التحليلي** الذي يعتمد على التحليل النصي للمذاهب؛ بغية توضيح نقاط الاتفاق والاختلاف.

٢ـ **المنهج الاستدلالي** الذي يعتمد على النقل ولغته والعقل وطرقه، والعرفاني وإلهاماته.

خطة الدراسة:

ولتحقيق كل ذلك رتبته على خطة بحثية مكونة من: فاتحة، ومبحثين، وخاتمة كالتالي:

- **فاتحة:** وتحتوي على: مقدمة، وتمهيد.

فأما المقدمة ففيها: تحيد مشكلة البحث، وأهمية البحث، وسبب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

- **وأما التمهيد:** نبذة عن الإمام الشعراني ـ والإمام الكوراني.
- **وأما المبحثان فهما:**

المبحث الأول

رأي الإمام الشعراني في مدى مطابقة تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم.

ويحتوي هذا المبحث على عدة مطالب:

- **تمهيد:** تحديد مشكلة البحث كما صورها الإمام الشعراني.
- **المطلب الأول:** صفات المعاني كما صورها الإمام الشعراني.
- **المطلب الثاني:** تصوير رأي الإمام الشعراني وأدلته على صحة ما ذهب إليه.
- **المطلب الثالث** : شبهات وردود حول مذهب الإمام الشعراني.

المبحث الثاني

رأي الإمام الكوراني في مدى مطابقة تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم

ويحتوي هذا المبحث على عدة مطالب:

- **تمهيد** : تحديد مشكلة البحث كما صورها الإمام الكوراني.
- **المطلب الأول:** تصوير رأي الإمام الكوراني في تلك المسألة.
- **المطلب الثاني:** أدلة الإمام الكوراني في هذه المسألة.
- **المطلب الثالث:** مناقشة الإمام الكوراني للإمام الشعراني في تلك المسألة.

وأما الخاتمة: فتحتوي على :

- **أهم النتائج** التي توصلت إليها.
- **وأهم التوصيات** التي أوصي بها.
- **والفهارس وتتنوع إلى:**

١ـ فهرس المصادر والمراجـع.

٢ـ فهرس المحتويات والموضوعات.

تمهيد

نبذة عن (الإمام الشعراني ـ والإمام الكوراني)

أولا: الإمام الشعراني (٨٩٨:٩٧٣هـ =١٤٩٣: ١٥٦٥م)

حياته ونشأته: هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمد ابن الحنفية الشعراني أبو محمد: من علماء الصوفية ولد في قلقشندة بمصر عام (٨٩٨هـ =١٤٩٣م)، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية وإليها نسبته الشعراني ويقال الشعراوي.

مصنفاته: له تصانيف عدة منها: الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، وآداب القضاء، وإرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، البحر المورود في المواثيق والعهود، البدر المنير في الحديث، بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق، وتنبيه المغترين في آداب الدين، تنبيه المفترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر، الجواهر والدرر الكبرى، الجواهر والدرر الوسطى، حقوق أخوة الإسلام، مواعظ الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة، درر الغواص من فتاوى على الخواص، ذيل لواقح الأنوار، والقواعد الكشفية في الصفات الإلهية، الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر، كشف الغمة عن جميع الأمة، لطائف المنن يعرف بالمنن الكبرى، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار يعرف بطبقات الشعراني الكبرى، ولواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، مختصر تذكرة السويدي في الطب، مختصر تذكرة القرطبي، ومواعظ إرشاد المغفلين والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء مدار السالكين إلى رسوم طريق العارفين، ومشارق الأنوار، والمنح السنية، وشرح وصية المتبولي، ومنح المنة في التلبس بالسنة, والميزان الكبرى, واليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر.

وفاته: توفي في القاهرة سنة (٩٧٣هـ = ١٥٦٥م)[١].

---

(١) راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤/ ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨م ، وأنظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي تحقيق محمود الأرناؤوط دار بن كثير الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٦م ج٨/ ص ٣٧٢، ومقدمة الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للإمام الشعراني ص٧/ تحقيق لجنة التراث دار صادر بيروت دار البشائر دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٩م، والقواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية للإمام الشعراني ص٣: ١٠/ تحقيق أحمد عبد الرازق البكري مكتبة أم القرى، وكشف الغمة عن جميع الأمة للإمام الشعراني ص٣/ حققه محمد عبد القادر شاهين مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٧،ومقدمة الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار للإمام الشعراني ص٢/ ط دار الفكر. ومقدمة البحر المورود في المواثيق والعهود للشعراني الناشر مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م ص٥/ والمنح السنية للإمام الشعراني /ص ٧/ ط الناشر مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م .

ثانيا: الإمام الكوراني (١٠٢٥: ١١٠١هـ =١٦١٦: ١٦٩٠م)

حياته ونشأته:

إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهراني الشهرزوري الكوراني، برهان الدين: مجتهد، من فقهاء الشافعية، عالم بالحديث، ولد بشهران عام (١٠٢٥ هـ) من أعمال شهرزور بجبال الكرد, وسمع الحديث بالشام ومصر والحجاز, وسكن المدينة, وتوفي بها ودفن بالبقيع، وكان مع علمه بالعربية يجيد الفارسية والتركية .

مصنفاته:

قيل أن كتبه تنيف علي ثمانين، منها: إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف –خ" رسالة في مكتبة عيدروس الحبشي, في الغرفة بحضرموت، ومعها من تأليفه أيضا " التعريف بتحقيق التأليف "و"جلاء الانظار بتحرير الجبر والاختيار" مخطوطتان، ومن كتبه " إمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد –خ " عندي, و " الأمام لإيقاظ الهمم – ط " و" لوامع الآل في الأربعين العوال."

وفاته:

سكن المدينة, وتوفي بها ودفن بالبقيع سنة (١١٠١هـ = ١٦٩٠م) [١].

وبعد أن عرضنا نبذة مختصرة عن حياة الإمامين، وأشهر مؤلفاتهما، نقوم بتصوير رأيهما في هذا الموضوع، على النحو التالي.

---

(١) راجع الأعلام ج١/ ص ٣٥, والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ج١/ ص ١١/ دار المعرفة بيروت بدون تاريخ، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل المراوي ص ١: ٥ ط مكتبة المتنبي بغداد ، ، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي/ ج١/ص ٣٥/ ط وكالة المعارف منشورات مكتبة المتنبي بغداد عام ١٩٥١.

المبحث الأول
رأي الإمام الشعراني في مطابقة تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم

ويحتوي هذا المبحث على تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد: تحديد مشكلة البحث كما صورها الإمام الشعراني.

المطلب الأول: صفات المعاني كما صورها الإمام الشعراني.

المطلب الثاني: تصوير رأي الإمام الشعراني وأدلته على صحة ما ذهب إليه.

المطلب الثالث : شبهات وردود حول مذهب الإمام الشعراني.

تمهيد

تحديد مشكلة البحث وتحرير محل النزاع

حدد الإمام الشعراني مشكلة البحث حيث يرى: أن هناك آيات ظاهرها يقتضي أن الحق تعالى يستفيد علماً بوجود المحدثات، كما جزم أن هذه المسألة اضطرب في فهمها فحول العلماء، وحارت فيها العقول وما ورد فيها منقول، وأيضا كيف من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك؟ وكيف لا يزيل إشكالها إلا الكشف الصحيح؟ لذا استرسل الإمام الشعراني في نقل نصوص عن أهل الكشف، وبخاصة ابن عربي[١] لفهم هذا الإشكال.

يقول الإمام الشعراني:(فأنا أعتقد جزما أن الله تعالى عالم بكل شيء، ولا يعزب عن علمه شيء... فإن قلت: فما المراد بقوله تعالى:﴿ وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾ [٢]،وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلغَيبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيز ﴾[٣]، ونحوهما من الآيات، فإن ظاهر ذلك يقتضي: أن الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات[٤].

وقد أجاب الإمام الشعراني عن هذا الإشكال مستدلا بكلام أهل الكشف فقال: (فالجواب: أن هذه مسألة اضطرب في فهمها فحول العلماء، ولا يزيل إشكالها إلا الكشف الصحيح, وقد قال الشيخ في الباب الرابع عشر وخمسمائة[٥] من الفتوحات:(اعلم أنه ليس وراء الله مرمى، وما وراءك أيضا مرمى؛ لأنك معلوم علمه تعالى، وبك كمل الوجود فهو حسبك كما أنك حسبه؛ ولهذا كنت آخر موجود وأول مقصود، ولولا عدمك ما كنت مقصودا فصح حدوثك، ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح أن تريد العلم به، وهذا من أعجب ما في الوجود وأشكله على العقول، كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك؟ فإن الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها، ولا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق تعالى؛ فلهذا قلنا إن الوجود حسبك كما أنك حسبه؛ لأنه الغاية التي إليها ينتهي، وما ثم بعده إلا أنت ومنك علمك، وما

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عربي، ولد (عام ٥٥٨ هـ = ١١٦٤م. وتوفي عام ٦٣٨هـ = ١٢٤٠م). راجع الأعلام ج٦ / ص٢٨١.

(٢) سورة محمد الآية ٣١.

(٣) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٤) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر وبأسفله الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي(ت ٦٣٨هـ) وهو منتخب من كتاب لواقح الأنوار القدسية المختصر من الفتوحات المكية/ تأليف الشيخ عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ) طبع الكتاب بمطبعة عيسى البابي – الحلبي القاهرة في جزءين عام ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م /.ج١/ ١٥٥.

(٥) الفتوحات المكية لابن عربي ج ٧ / ص ٢٢٦ : ٢٢٧، ت أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م .

بقي بعدك إلا المحال وهو العدم المحض انتهى)[١]. وهذا الموضع ما في الفتوحات أشكل منه، وقد نقلته بحروفه؛ ليوضحه علماء الإسلام، والله تعالى أعلم انتهى)[٢].

وينقل الإمام الشعراني نصا آخر عن ابن عربي مفهومه: أن الله تعالى عالم بكل شيء قبل وجوده، فلا يستفيد علما حالة وجوده، لكنه تعالى نزل نفسه بمن يستفيد علما مراعاة لعقولنا، كما في آيات الاستواء، والنزول مع أن ذلك ينافي صفات التنزيه، فهذا مثل ذاك.

يقول الإمام الشعراني: (وقال في الباب الثاني والخمسين وخمسمائة[٣] في الكلام على اسمه تعالى الخبير: اعلم يا أخي أن الخبير هو الذي حصل العلم بعد الابتلاء، وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى: ﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾[٤]، وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء، بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه، ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما، كما تنزل لعقولنا في آية الاستواء، وفي النزول إلى سماء الدنيا، ونحو ذلك مع أن ذلك ينافي صفات التنزيه انتهى)[٥].

ويسترسل الإمام الشعراني فيقول : علم الله تعالى الشيء قبل كونه لا من حيث كونه، فالعلم يتغير بتغير المعلوم، ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم، فكيف ذلك وما الحكم؟

فيؤكد الإمام الشعراني مذهبه بكلام أهل الكشف :(وقال الشيخ أيضا في باب الأسرار[٦]في قوله: ﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾[٧]،اعلم أن من علم الشيء قبل كونه، فما علمه من حيث كونه، وأطال في ذلك ثم قال[٨]: فعلم أن العلم يتغير بتغير المعلوم، ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم، فقولوا لنا كيف الحكم؟ هذه مسألة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول)[٩].

وبلغة الاختصار قد حدد الإمام الشعراني مشكلة البحث من وجهة نظره في أن:

١ـ هذه مسألة من أعجب ما في الوجود وأشكله ولا يزيل إشكالها إلا الكشف الصحيح.

٢ـ الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات كما يقتضي ظاهر بعض الآيات.

٣ـ كيف من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك؟.

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ج ٧ / ص ٢٢٦ : ٢٢٧.

(٢) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٥.

(٣) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٨٣، وانظر نفس المرجع ج٧/ ٣٥١.

(٤) سورة محمد الآية ٣١.

(٥) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٥.

(٦) الفتوحات المكية ج٨/ ٩٠.

(٧) سورة محمد الآية ٣١.

(٨) الفتوحات المكية ج٨/ ٩٠.

(٩) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٥.

٤ـ علم الله الشيء قبل كونه لا من حيث كونه، فالعلم يتغير بتغير المعلوم، ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم.

٥ـ قدرة الله شاملة لكل شيء، ولا تتعلق بالأشياء إلا بعد تخصيصها بالإرادة، ولا تخصيص إلا بالعلم.

هذا ما صرح به الإمام الشعراني في تحديد محل النزاع، ولتحريره كان لابد لنا من إلقاء الضوء على صفات المعاني بصفة عامة، والعلم والقدرة بصفة خاصة من خلال فكره.

المطلب الأول
صفات المعاني عند الإمام الشعراني

عندما تحدث الإمام الشعراني عن صفات المعاني ذكر أنها من أجل المباحث؛ لذا وضح كل صفة بمتعلقاتها على حدة، وبرغم ذلك ربط بين تلك الصفات فكل صفة متوقفة على التي قبلها، فيعدد تلك الصفات فيقول.

صفة الحياة

فيتحدث عن اسم الله الحي: بأنه هو الذي يكون حياته لذاته، وليس ذلك لأحد من الخلق إنما ذلك خاص بالله تعالى، وهذه الصفة لها التقدم على سائر الصفات؛ لذا الحقت بالاسم الجامع للنعوت والأسماء، فيستحيل وصف الذات بصفة بدون صفة الحياة، فمثلا القدرة الإلهية لم تتعلق بشيء إلا بعد إرادة، ولا إرادة إلا بعد علم، ولا علم إلا بعد حياة؛ لأن هذه الصفات يستحيل أن تقوم بغير ذات موصوفة بالحياة.

وفي ذلك يقول الإمام الشعراني: (في حضرات الأسماء الثمانية بالخصوص وهي: الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقي، وهذا المبحث من أجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعاني أسماء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق : اعلم يا أخي أن الاسم الحي له التقدم على سائر الأسماء فلا يمكن أن يتقدمه اسم في الظهور فهو المنعوت على الحقيقة بالاسم الأول؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[1]، فجعل اسمه تعالى الحي يلي الاسم الجامع للنعوت والأسماء، ويستحيل وجود حقائق شيء من الأسماء من غير الحي، وحقيقة الحي هو الذي يكون حياته لذاته، وليس ذلك لأحد من الخلق إنما ذلك خاص بالله تعالى، وقد رأيت للشيخ كلاما في كتابه المسمى بعنقاء مغرب[2] يتعلق بحضرات

---

(١) سورة آل عمران ٢.

(٢) كتاب صوفي لابن عربي واسمه كاملا هو: عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب/ ط إلكترونية أولى ٢٠٢٥ / ت عبد العزيز سلطان طاهر / وهذا نص في معرفة الذات والصفات والأفعال من ص ٢٦: ٧٩ / ت بهنساوي أحمد السيد الشريف.

الأسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخي فربما كأن لم يطرق سمعك قط وهو قوله : اعلم أن القدرة الإلهية لم تتعلق بإيجاد شيء إلا بعد وجود إرادة، كما أنه تعالى لم يرد شيئا حتى علمه؛ إذ يستحيل في العقل أن يريد تعالى ما لم يعلم ،أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده تعالى، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها)[١] .

ويقول في كتابه القواعد الكشفية: (يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازما أن الله تعالى إله واحد لا ثاني معه ...إلى أن قال: أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات، ولا يشبه شيئا من صفاته صفات المحدثات، تعالى أن تحله الحوادث، أو يحلها، أو تكون قبله، أو يكون قبلها، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان)[٢].

(توابع صفة الحياة وحال الأسماء الإلهية حين اجتمعت بحضرة المسمى)

بعد أن انتهي الإمام الشعراني من الكلام عن اسم الله الحي شرع في الحديث عن توابعه فقال: يلي اسم الحي: الباري وتوابعه، فالممكنات سألت الأسماء الإلهية سؤال ذل وافتقار فذكرت: أن العدم قد أعمانا، ونريد أن تظهر أحكامنا، ويثبت سلطاننا، فلجئوا إلى اسم الباري وتوابعه.

ويفصل ذلك الإمام الشعراني فيقول:(ويلي الاسم الحي في الظهور الاسم الباري، وكأن لسان حال الأسماء الإلهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان قالت: لبعضها بعضا نريد ظهور أحكامنا؛ لتتميز حضرات أعياننا بأسمائنا، وآثارنا فقال بعضهم لبعض: انظروا في ذواتكم فنظر كل اسم في ذواته، فلم ير الاسم الخالق مخلوقا، ولا المدبر مدبرا، ولا المفصل مفصلا، ولا المصور مصورا، ولا الرازق مرزوقا، ولا القادر مقدورا، ولا المريد مرادا، ولا العالم معلوما، فقالوا: كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي بها يظهر سلطاننا وأحكامنا؟ فلجأت الأسماء الإلهية التي يطلبها حقائق العالم إلى الاسم الباري جل وعلا فقالوا له: عسى توجد هذه الأعيان فتظهر أحكامنا، ويثبت سلطاننا؛ إذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال الباري: ذلك راجع إلى الاسم القادر، فإني تحت حيطته قال: وكان أصل هذا كله أن الممكنات في حال عدمها سألت الأسماء الإلهية سؤال ذلة وافتقار، وقالت: للأسماء إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضا، وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا، فلو أنكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود؛ لأنعمتم علينا بذلك، وقمنا بما ينبغي لكم من الإجلال والتعظيم، وأنتم أيضا كان يظهر علينا سلطنتكم بالفعل، فإنكم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية دون الفعل، فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقالت الأسماء: إن

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٠.

(٢) القواعد الكشفية للشعراني ت أحمد عبد الرازق البكري ط مكتبة أم القرى/ص ٣٣: ٣٧.

هذا الأمر تحت حيطة المريد، فلا توجد عين منكم إلا باختصاصه، ولا يمكننا الممكن من نفسه إلا أن يأتيه الأمر من ربه عز وجل، فإذا أمره بالتكوين وقال: ﴿كُن﴾[1] ممكنا من نفسه، وتعلقنا بإيجاده فكوناه من حينه، فلجئوا إلى الاسم المريد عسى أن يرجح، وأن يخصص جانب الوجود على جانب العدم، فحينئذ اجتمع أنا والآمر والمتكلم؛ ونوجدكم، فلجئوا إلى الاسم المريد فقالوا له: إنا سألنا الاسم القادر في إيجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك، فما ترسم فقال المريد: صدق القادر، ولكن ما عندي خبر بما عند الاسم العالم من الحكم فيكم، هل سبق علمه بإيجادكم فأخصص، أو لم يسبق، فإني تحت حيطته، فسيروا إليه واذكروا قصتكم، فساروا إلى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم: صدق المريد، وقد سبق علمي بإيجادكم، ولكن الأدب أولى فإن لنا حضرة مهيمنة علينا وهي حضرة الاسم: الله فلا بد من حضورنا عنده فإنها حضرة الجمع، فاجتمعت الأسماء كلها في حضرة الاسم الله فقال: ما بالكم وهو أعلم فذكروا له الخبر فقال : أنا اسم جامع لحقائقكم، وأنا دليل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل حضرة مدلولي، فدخل على مدلوله وذكر له ما قاله الممكنات، وما تحاورت فيه الأسماء فقال: اخرج وقل لكل واحد من الأسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات، فإني أنا الواحد لنفسي من حيث ذاتي، والممكنات إنما تطلب مرتبتي لا حقيقتي؛ لأني أنا الغني والمرتبة هي التي تطلب الممكنات؛ لتظهر آثارها فيهم، وجميع الأسماء الإلهية للمرتبة لا لي إلا الأحد خاصة، فإنه اسم خصص بي، فخرج الاسم الله، ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات، والأسماء، فذكر لهم ما ذكره المسمى، فتعلق العالم والقادر والمريد والقائل، فظهر الممكن الأول من الممكنات بتخصيص المريد، وحكم العالم فلما ظهرت الأعيان، والآثار في الأكوان، وتسلط بعضها على بعض، وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت إليه من الأسماء؛ فأدى ذلك إلى منازعة، وخصام، فقالوا: إنا نخاف أن يفسد علينا نظام حضراتنا، ونلتحق بالعدم الذي هو عدم ظهورنا كما كنا قبل؛ تنبهت الممكنات والأسماء بما ألقى إليها الاسم العليم، والمدبر وقالوا: لو كان حكمكم أيها الأسماء على ميزان معلوم، وحد مرسوم بإمام ترجعون إليه؛ ليحفظ علينا، وجودنا، ويحفظ عليكم تأثيراتكم فينا؛ لكان أصلح لنا، ولكن فالجئوا كلكم إلى الله؛ حتى يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده، وإلا هلكتم، وتعطلتم، فقالوا: هذا عين المصلحة، وعين الرأي، ففعلوا ذلك، فقالوا: إن الاسم المدبر هو الذي ينهي أمركم، فأنهوا إلى المدبر الأمر فقال: أنا لها فدخل وخرج بأمر الحق إلى الاسم الرب، وقال له: افعل ما تقتضيه المصلحة، فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به، وهما المدبر والمفصل قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ

(١) سورة يس الآية ٨٢.

﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[١]الذي هو الإمام يعني الرب، فانظر ما أحكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الأمر عليه في نفسه، فحد الاسم الرب لهم الحدود، ووضع لهم المراسم؛ لإصلاح المملكة، ولنبلونهم أيهم أحسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه في عنقاء مغرب [٢] وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله في ذلك المعنى)[٣] .

(إراحة فهم بإزاحة وهم)

بعد أن فرغ الإمام الشعراني من الحديث عن صفة الحياة أو الاسم الحي، وتوابعه، أجاب عما أثير حوله من أوهام في صورة تساؤلات:

التساؤل الأول: هل هناك صفة من الصفات، أو اسم من الأسماء مسيطر على الكل؟

يصور الشعراني هذا التساؤل وجوابه فيقول:(فإن قلت: هل من الأسماء ما يكون مهيمنا على بعضها؟

فالجواب: نعم كما تقدم في كلام عنقاء مُغْرِب[٤] فنقول مثلا : لا يكون مريد إلا عالما، ولا عالم إلا حيا، فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا، وهكذا كل اسم يتوقف وجود أثره على وجود اسم آخر انتهى)[٥].

التساؤل الثاني: هل الأسماء الإلهية مثل الملائكة في تراصها بين يدي ربها أم لا؟

يقول الإمام الشعراني: فإن قلت:(فهل الأسماء الإلهية تتراص بين يدي مسماها كما تتراص الملائكة بين يدي ربها؟

فالجواب: نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة[٦])[٧].

التساؤل الثالث: إذا كان الجواب بنعم فما أول صفوف الأسماء؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قيل: فما أول صفوف الأسماء ؟

فالجواب: كما قاله الشيخ محيي الدين[٨]: أولها الحي، وإلى جانبه العليم ليس بينهما فراغ لاسم آخر، وإلى جانبه العالم المريد، وإلى جانبه القائل، وإلى جانبه القادر، وإلى جانبه الحكيم، وإلى جانبه المقيت، وإلى جانبه المقسط، وإلى جانبه المدبر، وإلى

---

(١) سورة الرعد الآية ٢.

(٢) عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب لابن عربي، وهذا نص في معرفة الصفات من ص ٢٦: ٧٩ ،وراجع الفتوحات المكية ط بولاق الطبعة الثالثة القاهرة الميمنية / ج١/ص٣٢٣.

(٣) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٠: ١٥٢.

(٤) عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب لابن عربي، وهذا نص في معرفة الصفات من ص ٢٦: ٧٩ .

(٥) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٢.

(٦) الفتوحات المكية ج ٤/ ٣٠.

(٧) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٢.

(٨) الفتوحات المكية ج ١/ ص ١٥٥: ١٥٧.

جانبه المفصل، وإلى جانبه الرازق، وإلى جانبه المحيي؛ فهكذا صفوف الأسماء كما رأينا ذلك من طريق كشفنا)[١].

التساؤل الرابع: هل الأسماء الإلهية تتخلف في ترتيب تراصها، فيلتبس على الولي التخلق بما لا يوافق الأوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء؟

يقول الإمام الشعراني: فإن قيل:(فهل يكون التخلق بالأسماء الإلهية على حكم ترتيب صفوفها أم لا؟

فالجواب: نعم لا يصح التخلف باسم منها إلا على ترتيب تراصها، ومتى تخللها فراغ في الكون دخلت الشياطين، كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة، كما ورد، فربما يلتبس على الولي التخلق بما لا يوافق الأوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة في غير محله المشروع)[٢].

التساؤل الخامس: هل الأسماء الإلهية يتخللها فراغ فتدخل بينها الشياطين، فلا يوافق العبد ما أمر به، أو نهي عنه؟

يقول الإمام الشعراني: فإن قيل: (فهل بين حضرات الأسماء الإلهية بون معقول أم لا ؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في الفتوحات[٣]. ليس بين حضرات الأسماء الإلهية بون معقول حقيقة، لارتباط الأسماء كلها بمسماها؛ ولكون كل اسم فيه قوة جميع الأسماء نظير خطاب الحق تعالى لنا بالياء المشعر التخلف باسم منها إلا على ترتيب تراصها، ومتى تخللها فراغ في الكون دخلت الشياطين، كما تدخل بالبعد مع أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت يتحكم في أعيان العالم، ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة، والبعد منها تارة أخرى، فكان كل اسم يقول بلسان حاله العبد: هلم إلى حضراتي، فإذا كان العبد تحت سلطان حكم إلهي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به العبد، أو نهى عنه، فإن الاسم الإلهي الذي يعطي للعبد موافقة ما أمر به أو نهى عنه بعيد عن هذا المخالف في حضرة الشهود، فيناديه ليرجع إلى حضرته، ويصغى لندائه، فيكون تحت حكمه، فهو لعدم الموافقة لما أمره به ذلك الاسم بعيد، ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان إلا إن عصم، أو حفظ)[٤].

التساؤل السادس: هل الأسماء الإلهية تجاذب العبد ليل نهار، فيكون أسيرا لها على الدوام؟

---

(١) اليواقيت والجواهر ج ١/ ١٥٣.

(٢) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٣.

(٣) لم أقف عليها في الفتوحات لكن ذكرها صاحب اليواقيت والجواهر ج١ س١٥٣

(٤) اليواقيت والجواهرج١/ ١٥٣.

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فإن العبد أسير تحت سلطان الأسماء على الدوام.

فالجواب: نعم هو أسير تحت سلطانها فلا ينقضي حكم اسم إلا ويتولاه حكم اسم آخر، فلا تزال الأسماء تجاذبه ليلا ونهارا، ومحال أن يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه، فاسم الرحمن يطلب مرحوما على الدوام، واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام، وهكذا فلا يخلو عبد من أن يكون في عمل لأحد الدارين بحكم القبضتين، وما خرج عن هذا الحكم إلا المعصوم أو المحفوظ كما مر، والله تعالى أعلم انتهى. ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحي وتوابعه)[١].

صفة العلم

علمه تعالى شامل لكل شيء؛ وعليه فمتعلقاته غير متناهية، فهو تعالى عالم بكل ممكن، وممتنع لنا من كليات وجزئيات.

يقول الإمام الشعراني في اليواقيت: (وأما الاسم العالم فقال الجلال المحلي[٢] محقق الزمان: العالم هو الذي علمه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم، وإلا فمتعلقات علمه تعالى غير متناهية، قال تعالى:﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[٣] وقال: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[٤]وقال:﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[٥]وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٦]وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٧] فهو تعالى عالم بكل ممكن، وممتنع لنا من كليات وجزئيات، أما الكليات فعلى الإطلاق، وأما الجزئيات فبالإجماع من أهل النظر والاتفاق)[٨] .

ويؤكد ذلك في القواعد الكشفية: (خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه بذلك سبق، فلا بد أن يخلق ما خلق، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمَا ﴾[٩]، ﴿وَأَحصَىٰ كُلَّ شَيءٍ عَدَدَا ﴾[١٠] ﴿يَعلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخفَى ﴾[١] ﴿يَعلَمُ خَائِنَةَ ٱلأَعيُنِ وَمَا تُخفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٢]،

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٣.

(٢) محمد بن أحمد جلال الدين المحلي(٧٩٢: ٨٦٤هـ = ١٣٨٩: ١٤٥٩م). راجع الأعلام ج٥/ ٣٣٣ .

(٣) سورة الطلاق الآية ١٢.

(٤) سورة الجن الآية ٢٨.

(٥)سورة غافر الآية ١٩.

(٦) سورة غافر الآية ١٩.

(٧) سورة الملك الآية ١٤.

(٨) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٣.

(٩)سورة الطلاق الآية ١٢.

(١٠)سورة الجن الآية ٢٨.

كيف لا يعلم شيئا خلقه؟ ﴿أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ﴾[٣]علم الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ما علمها، فلم يزل عالما بالأشياء كلها، لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها، وبه حكم عليها من شاء وحكمها، يعلم الكليات والجزئيات، ولا يحتاج علمه بها إلى تفصيل كما هو علم خلقه، فهو عالم الغيب والشهادة، تعالى عما يشركون كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان)[٤].

(إراحة فهم بإزاحة وهم)

بعد أن أثبت الإمام الشعراني إحاطة العلم الإلهي بالكليات والجزئيات، دفع ما يثار حوله من أوهام في صورة تساؤلات:

التساؤل الأول: يزعم البعض أن الباري تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات.

يقول الإمام الشعراني:(فإن قلت: كيف أجريت خلافا في كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة إيمانك؟

فالجواب: إني أجريت تبعا لغيري في الإشارة للخلاف في تعلق العلم بالجزئيات، وإلا فأنا أعتقد جزما أن اللّه تعالى عالم بكل شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، وقد سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بأرض مصر، فكلهم قالوا: لا يعزب عن علم ربنا شيء، فما أدري أين هؤلاء الذين قالوا: إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات، حتى حكى عنهم الأئمة ذلك، ولعل من حكى ذلك عنهم أخذه من لازم مذهبهم، ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح، ويؤيد ما قلناه: من أن الظاهر أن الأئمة أخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات [٥]: (اعلم أنه لا يشك مؤمن، ولا غير مؤمن في كمال علم الله عز وجل، حتى إن الذين نقل عنهم أنهم قالوا: لا يتعلق علمه تعالى بالجزئيات، بل علمه بها مندرج في علمه بالكليات، لا يحتاج ذلك إلى تفصيل في طريق علمه بها، كما هو شأن خلقه، فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات، نفي العلم عنه تعالى بها مطلقا، وإنما قصدوا بذلك: أن الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسي بها عند التفصيل فقصدوا التنزيه، فأخطأوا في التعبير من حيث عباراتهم، أوهمت ما أضيف إليهم من المذهب، وإلا فهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى[٦].

---

(١)سورة غافر الآية ١٩.

(٢) سورة غافر الآية ١٩

(٣) سورة الملك الآية ١٤.

(٤) القواعد الكشفية ص٣٥: ٣٧.

(٥) الفتوحات المكية ج١/ ٤٢٢.

(٦) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٤.

ويسترسل الإمام الشعراني فيقول: (قلت: ولعل من حكم بتكفير من قال: إن الحق غير عالم بالجزئيات ظن أنهم كانوا مسلمين، فكفرهم بهذا القول، والحق أنهم كانوا كافرين قبل ذلك بأمور أخر كما حكاه الشيخ عنهم، وقد قال في باب الأسرار من الفتوحات[١] :(ليس من وصف الكمال أن يكون في علم الحق تعالى إجمال أن الإجمال في المعاني محال، وإنما محال الإجمال الألفاظ والأقوال انتهى)[٢].

التساؤل الثاني: هل الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ ﴾[٣].

يقول الإمام الشعراني: فإن قلت: فما المراد بقوله تعالى:﴿ وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾[٤]وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلغَيبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيز﴾[٥]ونحوهما من الآيات، فإن ظاهر ذلك يقتضي أن الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات؟

فالجواب: أن هذه مسألة اضطرب في فهمها فحول العلماء، ولا يزيل إشكالها إلا الكشف الصحيح، وقد قال الشيخ في الباب الرابع عشر وخمسمائة من الفتوحات[٦]: (اعلم أنه ليس وراء الله مرمى، وما وراءك أيضا مرمى؛ لأنك معلوم علمه تعالى، وبك كمل الوجود فهو حسبك ،كما أنك حسبه؛ ولهذا كنت آخر موجود وأول مقصود، ولولا عدمك ما كنت مقصودا فصح حدوثك، ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح أن تريد العلم به، وهذا من أعجب ما في الوجود وأشكله على العقول، كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك؟ فإن الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها، ولا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق تعالى، فلهذا قلنا إن الوجود حسبك كما أنك حسبه؛ لأنه الغاية التي إليها تنتهي، وما ثم بعده إلا أنت، ومنك علمك، وما بقي بعدك إلا المحال وهو العدم المحض انتهى)[٧]، وهذا الموضع ما في الفتوحات أشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الإسلام والله تعالى أعلم)[٨].

---

(١) الفتوحات المكية ج١/ ١٤٢: ١٤٤.

(٢) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٤.

(٣) سورة محمد الآية ٣١.

(٤) سورة محمد الآية ٣١.

(٥) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٦) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٢٧.

(٧) الفتوحات ج٧/٢٢٦: ٢٢٧.

(٨) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٥.

ويستفيض الإمام الشعراني في نقل النصوص عن أهل الكشف لتأكيد مذهبه، فيقول: (وقال في الباب الثاني والخمسين وخمسمائة[١] في الكلام على اسمه تعالى الخبير:(اعلم يا أخي أن الخبير هو الذي حصل العلم بعد الابتلاء، وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى: ﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾[٢]وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء، بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه، ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما، كما تنزل لعقولنا في آية الاستواء، وفي النزول إلى سماء الدنيا، ونحو ذلك مع أن ذلك ينافي صفات التنزيه انتهى)[٣] .

ويقول الإمام الشعراني أيضا: (وقال الشيخ أيضا في باب الأسرار[٤] في قوله: ﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾[٥] (اعلم أن من علم الشيء قبل كونه فما علمه من حيث كونه، وأطال في ذلك ثم قال: فعلم أن العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم فقولوا لنا: كيف الحكم هذه مسألة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول)' وقال في معنى هذه الآية في موضع آخر من هذا الباب[٦]: (اعلم أن للعالم أن يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع أنه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما أضافه إلى نفسه أم يتوقف, وقال في موضع آخر[٧]: (من استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من في قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه عند نفسه ممن لا يعلمه نظيره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[٨]، فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن), وقال في موضع آخر من باب الأسرار:[٩] (من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى: ﴿لَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ﴾[١٠]وهو العالم بما يكون منهم فافهم وإذا فهمت فاكتم وإذا سئلت فقل لا أعلم فاعلم أن الفتنة اختبار في البصائر والأبصار، وقال في موضع آخر منه[١١]: لما أخبر الله تعالى أن العلم انتقل إليه من

---

(١) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٨٤.، وانظر الفتوحات ج٧/ ٣٥١

(٢) سورة محمد الآية ٣١.

(٣) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٨٤.، وانظر الفتوحات ج٧/ ٣٥١

(٤) الفتوحات المكية ج٨/ ٩٠.

(٥) سورة محمد الآية ٣١.

(٦) الفتوحات المكيةج٨/ ١٠١ .

(٧) الفتوحات المكيةج٨/ ١٨٤.

(٨) سورة النساء الآية ١٣٦.

(٩) الفتوحات المكيةج٨/ ص ١٠٠: ١٠١ .

(١٠) سورة محمد الآية ٣١.

(١١) الفتوحات المكيةج٨/ ص ٦٩ ، وانظر الفتوحات المكيةج٨/ ص ١٠١ .

الكون بقوله: ﴿ حَتَّىٰ نَعلَمَ ﴾[١]سكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسر به العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري[٢]: الله أعلم، فالولي الكامل علم، والمحدث سلم فالحمد لله يا أخي الذي علمك ما لم تكن تعلم، وأطال في ذلك ثم قال[٣]: فقد علمت أن العلم المستفاد للعليم يعم في وجوب الإيمان به الحادث والقديم وإن عاندت في ذلك فتأمل في قوله : ﴿ حَتَّىٰ نَعلَمَ ﴾[٤] ، وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك إيمانا ولا تنفرد قط بعقلك دون نقلك فإن التقييد في التقليد وعلم الحق لنا قد يكون معلوما, وأما علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه أحد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾[٥]فإني لست من جنسك انتهى كلام الشيخ في باب الأسرار فتأمله)[٦].

وقال في الباب الرابع وأربعمائة[٧]: (اعلم أن من أشكل العلوم إضافة العلم إلى المعلومات، والقدرة إلى المقدورات والإرادة إلى المرادات وذلك؛ لأنه يوهم حدوث التعلق أعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد، فإن المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم إذ هي معلوم علمه تعالى فهو محيط علما بأنها لا تتناهى. قال[٨]: ولما كان الأمر على ما أشرنا إليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب[٩] قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى في هذا المقام: ﴿ حَتَّىٰ نَعلَمَ ﴾[١٠] وأنكر بعض القدماء تعلق العلم الإلهي بالتفصيل؛ لعدم التناهي في ذلك؛ ولكون ذلك غير داخل في الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء في هذه الآية لاضطراب أفكارها .

---

(١) سورة محمد الآية ٣١.

(٢) الظاهرية: هم اتباع داود بن علي بن خلف الأصبهاني(٢٠١: ٢٧٠ = ٨١٦ : ٨٨٤) الملقب بالظاهري تنسب إليه الطائفة وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والقياس. راجع الأعلام ج٢/ ٣٢٣.والفرق بين الفرق للبغدادي ٢٢: ٢٨. ووفيات الأعيان رقم ٢٠٩، العبر ج٢/ ٤٥،شذرات الذهب ج٢/ ١٥٨،

(٣) الفتوحات المكيةج٨/ ص ٦٩: ٧٠ .

(٤) سورة محمد الآية ٣١.

(٥) سورة المائدة ١١٦.

(٦) الفتوحات المكيةج٨/ ص ٦٩: ٧٠

(٧) الفتوحات المكيةج٧/ ص ٨: ٩ .

(٨) الفتوحات المكيةج٧/ ص ٩ .

(٩) محمد بن عبدالله المعروف بلسان الدين بن الحطيب (٧١٣: هـ ٧٧٦= ١٣١٣: ١٣٧٤م) الأعلام ج٦/ص ٢٣٥.

(١٠) سورة محمد الآية ٣١.

قال الشيخ[١] : وأما نحن فقد رفع الكشف عنا الإشكال في هذه المسألة فألقى تعالى في قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات، وما ثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهي عين وجوده، وليس لوجوده افتتاح وانتهاء فيكون له طرف لأن نفي البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التي ارتفع بها عن خلقه قال تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾[٢]ومعلوم أن المعلومات هي متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهى وجود بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا أخي لذلك فإنه أمر ما أظنه طرق سمعك قط فإن الحق تعالى لا يتصف بالدخول في الوجود المحصور فيتناهى إذ كل ما دخل في الوجود متناه والباري تعالى هو الوجود الحقيقي فما هو داخل في هذا الوجود لأن وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فإن منه ما دخل في الوجود فتناهى بدخوله فيه ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى أعلم)[٣] .

التساؤل الثالث :هل للأولياء اطلاع على تأثير الأسماء في الممكنات أو لا؟

يوضح الإمام الشعراني هذا التساؤل وجوابه فيقول :(فإن قلت: فهل اطلع أحد من الأولياء على سبب بدء العالم الذي هو تأثير الأسماء في الممكنات كما مر من أن الخالق يطلب مخلوقا, والرازق يطلب مرزوقا وهكذا.

فالجواب: إن هذا من علم سر القدر وعلم القدر إنما هو خاص بأفراد من كمل الورثة المحمديين, قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع من الفتوحات[٤] اعلم أن أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم إلا تعلق العلم القديم أزلا بإيجاده، فكون تعالى ما علم أنه سيكون وهنا انتهى علمهم، وأما نحن فأطلعنا الله تعالى على فوق ذلك من طريق الوهب، وهو أن الأسماء الإلهية المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتح الأول التي لا يعلمها إلا هو، قال الشيخ[٥]:ولا أدري أعطى الله ذلك لأحد من أهل عصرنا، أم خصنا به من بينهم انتهى)[٦].

التساؤل الرابع: ما معنى سبق الكتاب فيما كتب وعلم ؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فما معنى سبق الكتاب في حديث: { إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب }[٧] "

---

(١) الفتوحات المكيةج٧/ ص٩.

(٢) سورة غافر ١٥.

(٣) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٤.

(٤) الفتوحات المكية ج١/ ١٥٤.

(٥) الفتوحات المكية ج١/ ١٥٧.

(٦) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٧.

(٧) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٢٠٨، ومسلم برقم ٢٦٤٣، وأخرجه الترمذي برقم ٢١٣٧.

فإنه تعالى ما كتب إلا ما علم، ولا علم إلا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها سواء ما يتغير منها وما لا يتغير، فهو تعالى يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغيراتها إلى ما لا يتناهى فلم يوجدها إلا على ما هي عليه في علمه تعالى، وإذا تعلق علمه تعالى بالأشياء كلها معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فما ثم على ما قلناه كتاب يسبق[١].

فيجيب الإمام محي الدين بن عربي فيقول: (فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وأربعمائة[٢] أن معنى سبق الكتاب إنما يكون بإضافة الكتاب إلى ما يظهر به ذلك الشيء الذي تعلق به العلم إلى حضرة الوجود على الهيئة التي كان الحق تعالى يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة، فإن الكتاب سبق وجود ذلك الشيء. قال الشيخ[٣]: ولا يطلع على هذا ذوقا إلا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكونين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم في رؤيا الإنسان أن الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذي يشهد الأمور قبل تكوينها في حال عدمها فمن كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وإنما يخاف من حيث كون نفسه سبقت الكتاب إذ الكتاب ما سبق عليه إلا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التي ظهر في وجوده عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال: ومن هنا إن عقلت وصف الحق تعالى نفسه بأن له الحجة البالغة لو نوزع فإن من المحال أن يتعلق العلم الإلهي إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه فلو أن أحدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك بأن أكون على كذا فلم تؤاخذني لقال الحق تعالى وهل علمتك إلا على ما أنت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَنَبلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعلَمَ ﴾[٤]فارجع إلى نفسك وأنصف في كلامك فإذا رجع العبد إلى نفسه وفهم ما قررناه علم أنه محجوج وأن الحجة لله تعالى عليه بل يصير هو يقيم لله على نفسه الحجة أدبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى أيضا:﴿ وَمَا ظَلَمنَٰهُم وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ ﴾[٥]ونحوها من الآيات يعني فإن علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم في القدم إلا بما ظهروا به في الوجود من الأحوال لا تبديل لخلق الله، وسيأتي بسط ذلك في المبحث الخامس والعشرين[٦] في بيان أن لله الحجة البالغة)[٧].

---

(١) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٣.

(٢) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٣.

(٣) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٣: ٢٤.

(٤) سورة محمد الآية ٣١.

(٥) سورة النحل الآية ١١٨.

(٦) الفتوحات المكية ج٧/ ٥٥: ٥٦.

(٧) اليواقيت والجواهر ج ١/ ١٥٧/ ١٥٨.

التساؤل الخامس: بماذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق؟

فالجواب: أن الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فإنه تعالى خالق والعالم مخلوق، قال الشيخ محيي الدين[١] بعد ذكر هذا الجواب : وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم قال : وهي مسألة دقيقة ما في علمي أحدا نبه عليها من أهل الله تعالى إلا إن كان وما وصل إلينا، وما من أحد إذا تحققها يمكنه إنكارها، وفرق بين كون الشيء موجودا فيتقدم العلم وجوده، وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الأزلي له، فهو مساو للعلم الإلهي ولا يعقل بينهما بون إلا بالرتبة انتهى[٢].

قال الشيخ[٣] : ولو لم يكن في كتاب الفتوحات إلا هذه المسألة لكانت كفاية في شرف الكتاب، ويؤيد ما قررناه هنا في هذا الموضع ما ذكره في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة[٤] في الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله: اعلم أن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم، وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم، إذ العلم متأخر عن المعلوم؛ لكونه تابعا له، هذا تحقيقه فحضرة العلم على التحقيق هي المعلومات، وهي: نسبة لا يصح رفعها في مشهد أحد من الأكابر، ولو ارتفعت رتبته فهي متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند المحقق أثر في معلوم أصلا؛ لتأخره عنه عقلا فإنك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به، ولعلمك فيه أثر في معلوم أصلا؛ لتأخره عنه عقلا، فإنك تعلم المحال محالا، ولا أثر لك فيه من حيث علمك به، ولعلمك فيه أثر، والمحال بنفسه أعطاك العلم به أنه محال، فمن هنا يعلم: أن العلم لا أثر له في المعلوم، بخلاف ما يتوهمه أصحاب النظر، فقد ظهر لك أن إيجاد أعيان الممكنات صدر عن القول الإلهي كشفا وشرعا، وصدر عن القدرة الإلهية عقلا وشرعا، لا عن العلم، فيظهر الممكن في عينه، فيتعلق به علم الذات العالمة به ظهورا، كما تعلقت به معد وما انتهى)[٥] .

التساؤل السادس: ما معنى قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم** ﴾[٦] هل عليم بمعنى عالم أو بمعنى معلوم؟

---

(١) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٤.

(٢)ا لفتوحات المكية ج٧/ ٢٤.

(٣) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٤.

(٤) الفتوحات المكية ج٧/ ٣٢٧.

(٥) اليواقيت والجوهر ج/١/١٥٨: ١٥٩.

(٦) سورة الأنعام الآية ١٠١.

يقول الإمام الشعراني : (فإن قلت (فما معنى قوله تعالى ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم ﴾[١] هل عليم بمعنى عالم أو بمعنى معلوم؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة[٢]: أن بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل، وبمعنى المفعول، كقتيل وجريح، وأما قوله تعالى: هنا عليم فهو بمعنى عالم، وبمعنى معلوم معا، فإن الباء في قوله: ﴿ بِكُلِّ شَيءٍ ﴾[٣] بمعنى: في، فهو تعالى في كل شيء معلوم، وبكل شيء محيط، أي: له في كل شيء إحاطة بما هو ذلك المعلوم عليه، وليس ذلك إلا لله، ولمن أعلمه الله قال: والأصل في ذلك كله أن الظرفية، هل هي أصلية في الكون، ثم حملناها على الحق تعالى حملا شرعيا، أو هي في الحق بحسب ما ينبغي لجلاله، وظهرت فيه العالم بالفعل، كما في قوله في الحديث للجارية: (أين الله [٤]انتهى . فتأمل في هذا المحل وحرره والله يتولى هداك)[٥].

خاتمة: ذكر سيدي علي بن وفا[٦]رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى:﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمًا ﴾[٧] ما نصه: كل ما كان من صفاتك فهو في الأصل علمه تعالى، فوهمك علمه، وحسبانك علمه، وتخيلك علمه، وفكرك علمه، وتعقلك علمه، وقولك علمه، واختيارك علمه، على هذا فقس، فإنه تعالى إن لم يكن كل ما هو شيء معلوم لم تتم له تعالى هذه الإحاطة العلمية، والله تعالى أعلم)[٨] .

صفة القدرة

صفة القدرة بيت قصيدنا هنا لذا أولاها الإمام الشعراني اهتماما كبيرا كالتالي:

يقول الإمام الشعراني: (وأما الكلام على الاسم القادر فقال المتكلمون: القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع، وإنما عبروا بقولهم لكل ما من شأنه أن يقدر عليه؛ لينبهوا على أن متعلقات قدرته لا تتناهى، وإن كان كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية)[٩].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠١.

(٢) الفتوحات المكية ج٦/ ١٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٠١.

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٥٣٧، وأخرجه أبو داود برقم ٩٣٠ أو ٣٢٨٢، وأحمد برقم ٢٣٧٦٢.

(٥) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٩.

(٦) علي بن محمد بن وفا: (٧٥٩: ٨٠٧هـ = ١٣٥٧: ١٤٠٥م) راجع الأعلام ج٥/ ٧.

(٧) سورة الطلاق الآية ١٢.

(٨) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٥٩.

(٩) اليواقيت والجواهر ج ١/ ١٥٩.

ويؤكد ذات المعنى فيقول في القواعد الكشفية: (لم تتعلق قدرته بإيجاد شيء حتى أراده، كما أنه تعالى لم يرده حتى علمه؛ إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالى ما لا يعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئًا لم يرد الله لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه، ولا استطاعوه، ولا أقدرهم تعالى عليه، وإنه تعالى كما علم فأحكم، وأراد فخص، وقدر فأوجد تكلم تعالى لا عن صمت متقدم، ولا عن سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته)[١].

(إراحة فهم بإزاحة وهم)

بعد أن أثبت الإمام الشعراني أن قدرة الله شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن بخلاف الممتنع، وكما أن تعلق القدرة بالفعل متناهي بخلاف تعلقها بالقوة دفع ما أثير حولها من أوهام في صورة تساؤلات :

التساؤل الأول: هل تتعلق قدرة الله تعالى بالواجب؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل يقال إن الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه أو الإرادة لوجوده.

فالجواب: ذلك ممتنع والسؤال مهمل؛ لأنه واجب الوجود لذاته، والإرادة متعلقها العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك)[٢]

أشار الإمام الشعراني أن القدرة تتعلق بالممكن ولا تتعلق بالممتنع، كذا لا تتعلق بالواجب؛ لأنها لو تعلقت به لتوجده فهذا تحصيل حاصل؛ لأنه موجود لذاته فلا يحتاج تأثير من خارجه، وكذا لو صح لأصبح العلة معلولا والعكس, ولو تعلقت به لتعدمه وهو لا يقبل العدم، فتتسلسل العلل إلى ما لا نهاية؛ فيلزم الدور والتسلسل وهو باطل.

التساؤل الثاني: إذا كان الله تعالى قدير على كل شي فهل يبقى لمقدرته تعلق؟

يجيب الإمام الشعراني عن هذا التساؤل:(فإن قلت: (فما معنى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾[٣]فإنه تعالى أثبت الشيء الذي هو قدير عليه فما بقي لمقدرته متعلق.

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب الموفي تسعين من الفتوحات[٤] : المراد بالشيء الذي هو قدير عليه: ما تعلق به علمه القديم، فتتعلق به القدرة، فتوجده في عالم الحس، فهو قدير على كل شيء تعلقت به إرادته مما تضمنه علمه القديم.

---

(١) القواعد الكشفية ٣٥ : ٣٧.

(٢) اليواقيت والجواهر ج١٥٩/١.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠.

(٤) الفتوحات المكية ج٢٥٧/٣.

وإيضاح ذلك: أن كل من علم استحالات الأعيان في الأعيان، وتقلب الخلق في الأطوار علم أن الله على كل شيء قدير، لا على ما ليس بشيء في علمه، فإن لا شيء لا يقبل الشيئية إذ لو قبلها ما كانت حقيقة لا شيء، ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبدا، فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء بعده أبدا، وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء أبدا انتهى)[١].

التساؤل الثالث: هل اطلع أحد على صورة تعلق القدرة بالمقدور أم هو من سر القدر؟

يقول الإمام الشعراني عن هذا: (فإن قلت: فهل اطلع أحد من الأولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الإيجاد، أو هو من سر القدر الذي لا يطلع عليه إلا الله؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الأشواق[٢]: إن ذلك من سر القدر، وسر القدر لا يطلع عليه إلا الأفراد، قال[٣]: وقد أطلعنا الله تعالى عليه لكن لا يسعنا الإفصاح عنه لغاية منازعة المحجوبين فيه, قال تعالى: { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ }[٤]فأدخله تحت المشيئة، وذلك لنا بحكم الوراثة المحمدية، فإن الله تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ورثه فيه كأبي بكر[٥] رضي الله عنه، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم سأله يوما : { أتدري ما يوم لا يوم ؟ }[٦] " فقال أبو بكر رضي الله عنه : نعم ذلك يوم المقادير، أو كما قال كما تكلمنا عليه في عدة أماكن من مؤلفاتنا انتهى)[٧] .

التساؤل الرابع: هل قدرة الحق تعالى تتعلق بإيجاد المحال أم لا ؟

يصور الإمام الشعراني هذا التساؤل فيقول: (فإن قلت فهل يقال: إن قدرة الحق تعالى تتعلق بإيجاد المحال كتجسد المعاني، وإيجاد شخص في مكانين أو أمكنة في آن واحد؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب الثمانين ومائتين[٨]: أن قدرة الله تعالى مطلقة، فله إيجاد المحالات العقلية، وأطال في ذلك، وقال في كتابه اللوامع[٩] في قول الإمام حجة الإسلام[١٠]: ليس في الإمكان أبدع مما كان، قد شنع الناس على الإمام بسبب

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٠.

(٢) الفتوحات المكية ج١/ ١٦٠.

(٣) الفتوحات المكية ج١/١٦٠.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

(٥) عبدالله بن أبي قحافة عثمان القرشي (٥١ق هـ : ١٣هـ = ٥٧٣: ٦٣٤م) راجع الأعلام ج٤/ ص١٠٢.

(٦) هذا الحديث لم أقف عليه بهذا السياق في كتب السنة المعتمدة ولا يعرف له إسناد.

(٧) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٠

(٨) الفتوحات المكية ج٤/ ٣٦٥.

(٩) الفتوحات المكيةج١/ ص ١٦٠.

(١٠) محمد بن محمد الغزالي حجة الإسلام (٤٥٠: ٥٠٥ هـ= ١٠٥٨: ١١١١م) الأعلام ج٧/ ٢٢ .

هذه المقالة، ومعناها: في غاية الوضوح، وذلك أنه ما ثم لنا إلا مرتبتان: قدم، وحدوث، فالحق تعالى له رتبة القدم، والمخلوق له رتبة الحدوث، فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث، ولا يصح أن يخلق الحق تعالى قديما أبدا ، وقال في الباب الثامن من الفتوحات [١] في شأن المدائن التي خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام: قد دخلت هذه الأرض، وشاهدت فيها المحالات العقلية، وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا في هذه الأرض قد وقع، فعلمت بذلك قصور العقل، وأن الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين، ووجود جسم في مكانين، وقيام العرض بنفسه، وانتقاله، وقيام المعنى بالمعنى، قال[٢] وكل آية، أو حديث، ورد عندنا، وصرفه العقل عن ظاهره، وجدناه على ظاهره في هذه الأرض، وأطال في ذلك[٣] فليتأمل والله تعالى أعلم)[٤].

صفة الإرادة:

صفة قديمة زائدة على الذات قائمة به شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه.

يقول الإمام الشعراني: (وأما الكلام على الاسم المريد تعالى: فاعلم أن المريد هو الذي تتوجه إرادته على المعدوم فتوجده، فما علم الله تعالى أنه يوجده أراده، فأوجده، وما علم أنه لا يوجده فلا يريد وجوده، فالإرادة تابعة للعلم، فعلم أن القدر خيره وشره كائن بإرادته، وهو إيجاد الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذوات الأشياء وأحوالها، وغير ذلك هذه عبارة مصنفي العقائد من الأشاعرة، وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثلاثين وثلاثمائة[٥]: اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى في اللفظ، فيقولون: القضاء والقدر، والقضاء هو إرادته تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وأما القدر فهو تعيين الوقت الواقع فيه المقدرات على العباد من الحق تعالى، فالقضاء حاكم القدر فهو يحكم في القدر، ولا عكس، والمقدر هو الموقت، والقدر هو التوقيت انتهى)[٦] .

يقول الإمام الشعراني في القواعد الكشفية:(﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٧]، فهو المريد لجميع الكائنات في الأرضين والسماوات، لم تتعلق قدرته بإيجاد شيء حتى أراده، كما أنه تعالى لم يرده حتى علمه؛ إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالى ما لا يعلم، أو يفعل

---

(١) الفتوحات المكية ج١/ ٢٠١.

(٢)الفتوحات المكيةج١/ ص ١٦٠.

(٣)الفتوحات المكيةج١/ ص ١٦١.

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٠.

(٥) الفتوحات المكية ج٥/١٦٥: ١٦٦.

(٦) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٦١.

(٧) سورة هود اية ١٠٧.

المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده، ولا شيء من جميع المتضادات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق جل وعلا، وكيف لا يكون مراد إله وهو أوجده ؟ أم كيف يوجد المختار ما لا يريد؟ لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء ، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئًا لم يرد الله لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه، ولا استطاعوه، ولا أقدرهم تعالى عليه، فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان، والتوفيق والخدلان كلها من مشيئته وحكمه وإرادته، ولذلك قال أهل السنة: إن الحق تعالى إذا أراد من خلقه شيئاً لم يقسمه لهم لم يقدروا على إيجاده، بخلاف ما إذا أراد بهم ذلك، ففرق بين ما يريد بهم، ويريد منهم، وهو أمر دقيق لم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بالإرادة أولاً، والعالم معدوم، ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل، فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك، بل أوجده عن العلم السابق، وتعيين الإرادة المنزهة الأولية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان، وأكوان وألوان، فلا مريد في الحقيقة على الحقيقة سواه؛ إذ هو القائل سبحانه:﴿وما تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ ﴾[١] ، وإنه تعالى كما علم فأحكم، وأراد فخص، وقدر فأوجد، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان كل ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه، لو أراد تعالى أن يكون العالم كله سعيدا لكان، أو شقيا لما كان في ذلك من شأن، لكنه سبحانه وتعالى لم يرد ذلك، فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا)[٢].

(إراحة فهم بإزاحة وهم)

التساؤل الأولى: هل يجب الرضا بالكائن طبقا لما كان؟

يقول الإمام الشعراني: (وقال في الباب الثالث عشر وأربعمائة[٣]: فإن قيل: فهل يجب الرضا بالمقضى كالقضاء؟

فالجواب: هو الذي عليه أهل السنة والجماعة: أنه يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضي.

وإيضاح ذلك: أن الله تعالى لما أمرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا أنه يريد الإجمال، فإنه إذا فصله انقسم إلى ما يجوز لنا الرضا به، وإلى ما لا يجوز، وأما القدر فهو توقيت الحكم فكل شيء بقضاء وقدر أي: بحكم موقت فمن حيث التوقيت

---

(١) سورة الإنسان الآية ٣٠.

(٢) القواعد الكشفية ص ٣٣: ٣٧.

(٣) الفتوحات المكية ج٢٧/١.

المطلق يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، ومن حيث التعيين يجب الإيمان به لا الرضا ببعضه، وصورة الإيمان بالشر أن يؤمن العبد بأنه شر كما يؤمن بالخير أنه خير لكن لا يضاف إلى الله تعالى أدبا كما أشار إليه خبر { والشر ليس إليك }[١] انتهى.

فعلم أنه تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٢]فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والسماوات كما مر بسطه فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه، إذ هو القائل: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ ﴾[٣] [٤]

التساؤل الثاني: ما العلاقة بين الإرادة والمشيئة ؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل يطلق على الإرادة مشيئة، وعكسه، أو بينهما خصوص وعموم؟

فالجواب: الذي على الإرادة مشيئة وعكسه، وقال بعضهم : الإرادة أخص من المشيئة، والمشيئة أعم؛ لأن المشيئة تتعلق بالإيجاد والإعدام، والإرادة لا تتعلق لا بإيجاد الممكنات، فمتعلقها العدم الإضافي فتتوجه عليه، فتوجده، فالمشيئة لها الإطلاق؛ لأنها توجد وتعدم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٥]وقال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٦] فهو أعم من الإرادة من هذا الوجه انتهى، والحق الأول؛ لأن من خصائص صفات الحق تعالى أن كل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به، هذا ما عليه أهل الكشف، وخالف في ذلك بعض المتكلمين فقالوا: صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك)[٧] .

التساؤل الثالث: هل يوجد فرق بين الرضا والمحبة أو معناهما واحد؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قيل: فهل فرق بين الرضا والمحبة أو هما بمعنى؟

فالجواب: أنهما بمعنى، وموضوعهما من الله تعالى أنهما لا يكونان إلا في فعل محمود شرعا، فهما غير المشيئة والإرادة؛ لأنه قد يكون المشاء، والمراد بهما محمودا كالطاعة والإيمان، وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان، فلا يرضى لعباده الكفر مع

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الأمام مسلم في صحيحه، حديث رقم ٧٧١.

(٢) سورة هود اية ١٠٧.

(٣) سورة الإنسان ٣٠.

(٤) اليواقيت ج١/١٦٢.

(٥) سورة يس الآية ٨٢.

(٦) سورة إبراهيم الآية ١٩.

(٧) اليواقيت ج١/١٦٢.

وقوعه من بعضهم بمشيئة الله، ولو شاء ربك ما فعلوه ، وقالت المعتزلة[١]: الرضا والمحبة نفس المشيئة والإرادة؛ لأن صفات الحق تعالى كلها كاملة، فكل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى، وهذا الذي قاله المعتزلة صحيح: إن حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال الإلهي، وأما إن حملناه على الكلام من حيث الأوامر والنواهي فليس بصحيح؛ لأن به تصير المأمورات في رتبة المنهيات، وذلك خروج عن الشريعة)[٢].

التساؤل الرابع: ما الفرق بين الإرادة، والشهوة المتعلقتين بالخلق؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فما الفرق بين الإرادة، والشهوة المتعلقتين بالخلق؟

فالجواب: الفرق بينهما أن الإرادة صفة إلهية في الأصل، ومتعلقها كل مراد للنفس، أو العقل، ولو غير محبوب للشارع، وأما الشهوة فهي: صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة للنفس، قاله الشيخ في الباب التاسع ومائة[٣])[٤] .

التساؤل الخامس: هل الإرادة صفة ذات، أم هي العلم بما في الفعل من المصلحة كما يرى المعتزلة؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل الإرادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم، أم هي على مذهب بعضهم.

فالجواب: قد خالف في ذلك بعضهم فقال: ليست الإرادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد، ولا صفتها على مذهب من يقول: إنها زائدة، وبه قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة[٥] فقال: الصحيح عندي: أن الإرادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لإمكانه في القبول لأحد الأمرين على البدل، فإنه لولا معقولية هذين الأمرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للإرادة، ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى)[٦] .

التساؤل السادس: كيف تبرأ الله سبحانه من المعاصي، وهي من خلقه؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فإذا كان الشر والمعاصي من الله، فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾[٧].

---

(١) المعتزلة هم اتباع واصل بن عطا وعمرو بن عبيد ومن أشهر مقالاتهم إن القرآن مخلوق راجع الملل والنحل للشهرستاني ط مؤسسة الحلبي بدون ذكر سنة النشر والتاريخ /ج١/ص ٤٨: ٤٩.

(٢) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٦٢.

(٣) الفتوحات المكية ج٣/ ٢٨٨: ٢٩٠.

(٤) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٦٢.

(٥) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٩٦.

(٦) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٦٢.

(٧) سورة الأعراف ٢٨.

فالجواب: إن الأدب أن يقال: في الشر قضاه وقدره، ولا يقال: أمر به، وإن كانت الإرادة أقوى في النفوذ من حيث أنه لا يمكن لأحد عصيانها، بخلاف الأمر، فإنه يعصى بإرادة الله تعالى، وأيضا فإن الأمر موضوع تسميته إنما هو للطرف الراجح في الخير ففيه الحث على الفعل، ولا هكذا الإرادة.

ولو قيل: إن الله تعالى يأمر بالفحشاء، لصارت من قسم المأمورات، ولم يبق للمناهي في الوجود أثر؛ فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء، وأضاف الأمر بها إلى النفس والشيطان، وقال الشيخ محيي الدين في عقائده الوسطى[١] : اعلم أنه يصح أن يقال: كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء، كذلك لا يقال: إنه يريدها فيقال: قضاها وقدرها، ولا يقال: أرادها، ثم قال: بيان كونه تعالى لا يريدها أن كونها فاحشة ما هو عينها، وإنما هو حكم الله فيها، وحكم الله في الأشياء غير مخلوق، كالقرآن العظيم سواء، وما لم تجر عليه الخلق لا يكون مرادا للحق إذ الإرادة لا تتوجه إلا على معدوم لتوجده.

قال: فإن ألزمنا ذلك في جانب الطاعات التزمناه، وقلنا: الإرادة الطاعة ثبتت سمعا لا عقلا، فأثبتوها في الفحشاء، ونحن قبلناها في الطاعات إيمانا كما قبلنا وزن الأعمال مع كونها أعراضا، فلا يقدح إيماننا بها فيما ذهبنا إليه لما اقتضاه الدليل انتهى

. وهو كلام دقيق، فليتأمل ويحرر، فعلم مما قررنا أن الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد، وكذلك اللطف والطبع والختم والأكنة على القلوب بيد الله لا بيد العبد، وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القرآن كلها بيد الله تعالى لا بيد العبد.

ولنفسر لك معاني هذه الأمور فنقول وبالله التوفيق : أما الهداية والإضلال: فالمراد بهما خلق الإيمان والكفر في العبد، وهذا من مذهب أهل السنة، وقالت: إن الهداية والإضلال بيد العبد بناء على قولهم: إن العبد يخلق أفعال نفسه، وذلك مما أخطأ فيه المعتزلة كل الخطأ، فإن الحس يكذبهم فضلا عن الأدلة الشرعية، ولو أن العبد يخلق أفعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من أغراضه، ولم يفعل ما يسوءه قط،

وأما التوفيق فقال جمهور المتكلمين: إن المراد به خلق قدرة الطاعة في العبد مع الداعية، وقال إمام الحرمين[٢]: هو خلق الطاعة فقط أي لا مع الداعية؛ لعدم تأثيرها، وأما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية في العبد مع الداعية إليها، وقال إمام الحرمين: هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر، وكان الشيخ محيي الدين بن

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٦٣.

(٢) عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (٤١٩:٤٧٨هـ = ١٠٢٨: ١٠٨٥م) راجع الأعلام ج٤/ ص١٦٠، وفيات الأعيان ج١/ص ٢٨٧.

العربي رحمه الله[١] يقول: إذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك للمباح، وخفت أن ينتقل ذلك إلى المكروه فتضرع إلى الله أن يخلق فيك الكراهية لذلك المباح وإلا هلكت.

وأما اللطف بالعبد، فهو ما يقع عنده صلاح العبد آخره بأن تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها إن كان نبيا، أو على وجه الحفظ إن كان وليا.

وأما الختم والطبع، فالمراد بهما واحد كما قاله الأصوليون[٢] وهو خلق الضلال في العبد الذي هو الإضلال.

وأما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وأربعمائة[٣]: أن يكون العبد في بيت الطبيعة مشغولا بأمه التي هي النفس ما عنده خبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار إليه بقول الكفار: ﴿وَمِن بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾[٤] ومعلوم أن من كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام الداعي إلى الله، ولا يفهم على وجه الانتفاع به.

وأما الوقر المشار إليه بقوله تعالى : ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾[٥] فالمراد به: ثقل الأسباب الدنيوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة.

وأما الران المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلۡ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[٦]، فالمراد به: صدأ وطحا يطلع على وجه مرآة القلب، وقد يحدث من النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من شهوات الدنيا، وجلاء ذلك الصدأ والطحا يكون بكثرة الذكر، وتلاوة القرآن.

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٦٣.

(٢) علماء الأصول: هم: الصنف الثاني منهم أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث الذين اعتقدوا في أصول الدين مذهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية، وتبرءوا من القدر والاعتزال، واثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل، وأثبتوا الحشر من القبور، ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة، وغفران الذنوب التي دون الشرك، وقالوا: بدوام نعيم الجنة عل أهلها، ودوام عذاب النار عل الكفرة، وقالوا: بإمامة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأحسنوا الثناء عل السلف الصالح على من الأمة، وروا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة، وراوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة، ومن إجماع الصحابة، ورأوا جواز المسح عل الخفين، ووقوع الطلاق الثلاث، ورأوا تحريم المتعة، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية، ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك، والشافعي، والأوزعي، والثوري، وأبو حنيفة، وابن أبي ليلي، وأصحاب أبي تور، وأصحاب أحمد، وأهل الظاهر، وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية، ولو يخلطوا فقيها بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة. راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣١٣: ٣١٥. بدون طبعة.

(٣) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٤.

(٤) سورة فصلت الآية ٥.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٠١.

(٦) سورة المطففين ١٤.

وأما الصمم فالمراد به حصول قساوة في القلب تمنعه من الإصغاء إلى كلام داعي الشرع، وأما القفل فهو لأهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار، وإن لم ينفعهم الاعتذار فيقولون: يا ربنا إنا لم نقفل على قلوبنا هذا القفل، وإنما وجدناها مقفلا عليها، ولم نعلم من قفلها، وقد طلبنا الخروج فخفنا يا رب من فك ختمك وطبعك عليها، فبقينا ننتظر الذي أقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها ، فلم يكن بأيدينا من ذلك شيء، قال الشيخ محيي الدين[١]: وكان عمر بن الخطاب[٢] من أهل الأقفال، فتولى الله تعالى فتح قفله فشيد الله به الإسلام رضي الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فإنك لا تكاد تجدها مجموعة في كتاب، والله يتولى هداك)[٣] .

التساؤل السابع: هل الثواب فضل، والعقاب عدل؟

(فإن قلت: فإذا كان بيده تعالى ملكوت كل شيء، وأن كل واقع في الوجود بإرادته ومشيئته فإثابته على الطاعة فضلا منه، وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره.

فالجواب: نعم والأمر كذلك إلا أن يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾** ﴾[٤]،وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا** ﴾[٥].

قال الشيخ جلال الدين المحلي: وهذا الأخير مخصص لعمومات العقاب أي: ولا ينافي ذلك العفو الذي تضمنه صدق إخبار الله تعالى بتعذيب العصاة؛ لأن التخصيص بيان؛ لأن ذلك الخاص لم يرد بالحكم لا أنه بيان للرفع بعد الإثبات)[٦].

التساؤل الثامن: هل يخلف الله وعده ووعيده أم لا ؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت : فهل له تعالى مخالفة ما وعد وأوعد في هاتين الآيتين).

فالجواب: نعم له ذلك، وبه قالت: الشافعية، وقالت الحنفية: لا يصح فيهما، وعلى كلام الشافعية فله تعالى إثابة العاصي، وتعذيب المطيع، وإيلام الدواب، والأطفال؛ لأنهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء، قالوا: لكن لا يقع منه تعالى ذلك؛ لإخباره تعالى بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي في كتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا: ولم

---

(١) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٦٤.

(٢) عمر بن الخطاب العدوي (٤٠ق هـ: ٢٣هـ = ٥٨٤: ٦٤٤م) راجع الأعلام ج٥/ ص ٤٥، صفة الصفوةج١/ ص ١٠١.

(٣) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٦٢.

(٤) سورة النازعات الآية ٣٧: ٤١.

(٥) سورة النساء الآية ١١٦.

(٦) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٦٤.

يرد لنا في كتاب ولا سنة صحيحة إيلام الدواب والأطفال في غير قصاص الآخرة، والأصل عدمه، فإن كلام الأئمة إنما هو في الإيلام في الآخرة في الدنيا إذ وقوع الإيلام في الدنيا مشاهد لا نزاع فيه، أما إيلام الدواب والأطفال في القصاص، فقد قال صلى الله عليه وسلم { لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء}[١] رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: { يقتص للخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة}[٢] وقال أيضا: { ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا}[٣] رواهما الإمام أحمد .

قال الجلال المحلي رحمه الله: وقضية هذه الأحاديث أنه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره؛ فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم، ولو وقع منه تعالى تعذيب أو إيلام لأحد من خلقه مكلف أو غيره؛ لأنه مالك الأمور كلها على الإطلاق)[٤] .

التساؤل التاسع: هل يجمع الله تعالي على العبد عقوبتين؟

يقول الإمام الشعراني:(فإن قلت: فهل إذا وقع الإيلام في الدنيا للدواب والأطفال يكفي ذلك عن إيلامهم في الآخرة، لحديث: { لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين، فإن عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الآخرة}[٥] ويكون محمل خلاف الأئمة في إيلام الدواب والأطفال في الآخرة على ما إذا لم يعاقبوا في الدنيا.

فالجواب: نعم يكفي ذلك، خلافا للحنفية ويحصل به إطلاق المشيئة للحق تعالى في عباده، ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين[٦]: اعلم أن الله تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿**لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾[٧]فقدر تعالى الذنب، وأوقع المغفرة، وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الأمراض، والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين إنفاذ الوعيد في حق الأمة؛ لأنه لا بد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة في مسألة: إيلام البريء والطفل، فإن الأشعري يجوز وقوع ذلك من الله تعالى، ولكن يقول: كل ما هو

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٥٨٢) وصحيح الترمذي (٢٤٢٠).

(٢) حديث صحيح رواه ابن كثير في نهاية البداية والنهاية برقم(2/45)، وأخرجه مسلم (٢٥٨٢) بلفظ مقارب من أفراد مسلم على البخاري وتفرد به الإمام أحمد

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٧٢) بلفظه، والطبراني في الأوسط (٥٤٧٧) بنحوه، والبخاري في الأدب المفرد (١٨٣) بمعناه.

(٤) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٦٥.

(٥) حديث حسن صحيح أخرجه ابن المبارك في الزهد(١٥٨) وابن حبان (٦٤٠) والبيهقي في شعب الإيمان(٧٧٧).

(٦) الفتوحات المكية ج٤/٤٧٧.

(٧) سورة الفتح الآية ٢.

جائز واقع، قال الشيخ[١]: وكل ما احتج به الأشعرية على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل، فإن القائلين بإنفاذ الوعيد: مصيبون إن أطلقوا محل إنفاذه ولم يقيدوه إلا حيث يعينه الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة، فإذا أنفذه في الدنيا بمرض، أو ألم نفسي أو حسي كان ذلك كفاية في صدق إنفاذ العقوبة، وكان ذلك سترا له عن عقوبة الآخرة انتهى.

وقال أيضا في الباب الرابع والستين ومائتين[٢]: اعلم أنه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة، والبلايا والآلام شيئا بعد شيء في أبدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة أو النار، فأول الألم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته، فإنه يخرج صارخا لما يجده من الألم عند مفارقة الرحم وسخونته، فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي، فإن مات بعد ذلك فقد أخذ بحظه من البلاء، وإن عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الألم إذ الحيوان مجبول على ذلك، فإذا نقل إلى البرزخ فلا بد له من الألم أدناه سؤال منكر ونكير، فإذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه، أو على غيره، فإذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الألم وصحبه النعيم أبد الآبدين، وإن دخل النار فهو في ألم لا انتهاء له إن كان من أهل النار الذين هم أهلها وإلا صحبه الألم حتى يخرج بالشفاعة ا هـ

. وقال في باب الأسرار[٣] في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلفَسَادُ فِى ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِى ٱلنَّاسِ﴾[٤]الآية: اعلم أن الحق تعالى قد أخبر في هذه الآية: أن كل ما حصل للعبد من الأمور المؤلمة فهو جزاء ما هو ابتداؤه، فما ابتليت البرية وهي برية وهذه مسألة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان كبيرتان منعت إحداهما ما أجازت الأخرى، ونصرت كل طائفة منهما ما قام في غرضها، وهو عين مرضها، قال: وأما الطبقة العليا من أهل الكشف فعلموا الأمر يقينا، وأنه لم يكن في الدنيا أمر مؤلم قط إلا وهو جزاء ما هو ابتداء كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَة فَبِمَا كَسَبَت أَيدِيكُم وَيَعفُواْ عَن كَثِير﴾[٥]حتى إن الطبيب يقول للمريض: إذا تألم والله ما قصدت إلا نفعك بما أمرتك باستعماله من الأدوية الكريهة المؤلمة، وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب: إذا مرض، ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض هذا الألم الذي أصابك إنما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته، وإن كان ذلك الألم ما قصدته

---

(١) الفتوحات المكية ج٤/٤٧٧.

(٢) الفتوحات المكية ج٤/ ٢٩٠: ٢٩١. وانر الفتوحات المكية ج٤/٤٧٧.

(٣) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٦.

(٤) سورة الروم الآية ٤١.

(٥) سورة الشورى الآية ٣٠.

انتهى . وسيأتي مبحث أن أحدا لا يخرج عن التكليف أن أول درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى اعلم)[١]

صفتا السمع والبصر

صفتا السمع والبصر: هما من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى، فسمعه تعالى من غير أصمخة، ولا آذان، كما أن بصره تعالى من غير حدقة، ولا أجفان.

(إراحة فهم بإزاحة وهم)

الحكمة في تقديم الاسم السميع على الاسم البصير: كون أول شيء علمناه من الحق تعالى القول، وهو قوله لنا:{كُن}[٢]فكان منه تعالى القول، ومنا السماع، فتكون الوجود، ومن خصائص الحق تعالى أنه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه، ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات، والمبصرات من غير سبقية إدراك بإحدى الصفتين على الأخرى فلا يشغله شأن عن شأن.

يقول الإمام الشعراني: (وأما الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق إن قلت: ما الحكمة في تقديم الاسم السميع على الاسم البصير، وعلى الاسم العليم في الذكر دون العكس.

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين ومائة[٣]:إن الحكمة في تقديم الاسم السميع على غيره في الذكر كون أول شيء علمناه من الحق تعالى القول، وهو قوله لنا: {كُن}[٤]فكان منه تعالى القول، ومنا السماع، فتكون الوجود انتهى.

وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب السابع والتسعين[٥] وسيأتي بمعناه في المبحث عقبه إن شاء الله تعالى، واعلم أن هذين الاسمين لا يعقل كيفهما كسائر الصفات، فهو تعالى يسمع ويرى ما تحرك، أو سكن، أو بطن في الورى في العالم الأسفل والأعلى فيسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس، ويرى تعالى السواد في الظلماء، والماء في الماء لا يحجبه الامتزاج، ولا الظلمات، ولا النور، ولا الجدرات كما لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ، ولا يضره البعد فهو القريب جلت صفاته تعالى أن تجتمع مع صفات خلقه في حد أو حقيقة.

وقال في لواقح الأنوار[٦] : من خصائص الحق تعالى أنه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه، ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية إدراك بإحدى الصفتين على الأخرى، فلا يشغله شأن عن شأن انتهى.

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٥

(٢) سورة يس الآية ٨٢.

(٣) الفتوحات المكيةج٣/٥٤٩.

(٤) سورة يس الآية ٨٢.

(٥) الفتوحات المكية ج٣/٢٩٢.

(٦) الفتوحات المكية ج١/ ١٦٧.

وقال في باب الأسرار[١] : من أعجب ما يعتقده أهل التوحيد: وصفه تعالى بالقريب البعيد قريب ممن، وبعيد عمن، هو أقرب إلى جميع العبيد من حبل الوريد، فالقرب والبعد إنما هو راجع إلى شهود العبد، فإن أطاع ربه رأى ربه قريبا، وإن عصى أمر ربه وجد ربه بعيدا، والله تعالى أعلم)[٢].

ويقول الإمام الشعراني في القواعد الكشفية: (كذلك سمع ورأى ما تحرك، أو سكن، أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجب سمعه البعد، فهو القريب، ولا يحجب بصره شدة القرب، فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، يرى السواد في الظلماء، والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج، ولا الظلمات، ولا النور، وهو السميع البصير، كما أن سمعه تعالى من غير أصمخة ولا آذان، كما أن بصره تعالى من غير حدقة ولا أجفان)[٣].

صفة الكلام

هناك اتفاق بين أهل الملل جميعًا على أن الله متكلم، ولكن اختلفوا في كيفها كبقية الصفات، فكلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم، ولا عن سكوت متوهم، إذ هو قديم أزلي كسائر صفاته من: علمه، وإرادته، وقدرته، وكلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام، وأنزل التوراة، والانجيل، والقرآن من غير تشبيه ولا تكيف فلا يستطيع أحد أن يكيفه بعبارة.

يقول الإمام الشعراني: (وأما الكلام على كونه تعالى متكلما: فاعلم يا أخي أن هذا محل وقع للعلماء اضطراب في تعقله، ونحن نشير إلى طرف صالح من كلام المتكلمين، والصوفية، فنقول وبالله التوفيق:

أجمع المتكلمون أن هذه الصفة أي: صفة الكلام لا يتعقل كيفها كبقية الصفات؛ لأن كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم، ولا عن سكوت متوهم، إذ هو قديم أزلي كسائر صفاته من: علمه، وإرادته، وقدرته، كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور من غير تشبيه، ولا تكيف، إنما هو أمر يذوقه النبي، أو الملك في نفسه لا يستطيع أن يكفيه بعبارة، كما لو سئل الذائق للعسل كيف وجدت طعمه، أو ما الفرق بين حلاوة العسل النحل، والعسل الأسود مثلا ما قدر على إيصال الفرق بينهما إلى السامع بعبارة، ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام، كيف سمعت كلام ربك ما قدر على تكييف ما سمع)[٤].

---

(١) الفتوحات المكية ج٨/ ص ٦٣. نقلا عن اليواقيت والحواهر ج١/١٦٧.

(٢) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٧.

(٣) القواعد الكشفية ٣٦: ٣٧

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٨.

ويقول الإمام الشعراني في القواعد الكشفية: (تكلم تعالى لا عن صمت متقدم، ولا عن سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلم به موسى عليه الصلاة والسلام بكلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والفرقان، من غير تشبيه ولا تكييف؛ كما أن كلامه تعالى من غير لهاة، ولا لسان)[١].

(إراحة فهم بإزاحة وهم)

هناك بعض الأوهام حول صفة الكلام جاءت في صورة تساؤلات منها:

التساؤل الأول: كيف تنوعت الألفاظ والمعنى واحد؟

يقول الإمام الشعراني:(فإن قلت: كيف تنوعت ألفاظ الكلام إلى عربي وسرياني وعبري مع أنه واحد في نفسه غير متجزىء؟

فالجواب: صحيح أن الكلام واحد ولكن المخلوقين هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربي بالله تعالى والفارسي بخداي تعالى فإن عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا وبالسريانية كان إنجيلا أو بالعبرانية كان توراة)[٢].

التساؤل الثاني: ما أول كلام من الحق سمعته الممكنات؟

يقول الإمام الشعراني:(فإن قيل: فما أول كلام شق أسماع الممكنات من الحق تعالى؟

فالجواب: هو ما أشرنا إليه في المبحث السابق أن أول كلام شق أسماع الممكنات هو كلم: ﴿كُن﴾[٣]فما ظهر العالم كله إلا عن صفة الكلام، وحقيقة هذا الكلام الإلهي هو توجه إرادة الرحمن على عين من الأعيان فينفخ الرحمن الروح في شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهي نفس المتنفس المريد إيجاد عين حرف فخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف ذلك في جناب الحق والله أعلم)[٤].

وعبارة جمع الجوامع [٥]وشرحه[٦] : (القرآن كلام الله تعالى القائم بذاته غير مخلوق وأنه مكتوب في مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز ومحفوظ في صدورنا بألفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء بألسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز، قال الجلال المحلي[٧]:ونبهوا بقولهم: لا المجاز في الثلاث

---

(١) القواعد الكشفية ٣٧.

(٢) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٦٨.

(٣) سورة يس الآية ٨٢.

(٤) اليواقيت والجواهر ج ١/ ١٦٩.

(٥) كتاب في أصول الفقه لتاج الدين السبكي. ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) شرح جمع الجوامع لجلال الدين المحلي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر سنة النشر، ج٢/ ص ٢٨.

(٧) سبقت ترجمته.

مسائل على الإشارة إلى أنه ليس المراد بالحقيقة كنه الشيء كما هو مراد المتكلمين، فإن القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو في المصاحف، ولا في الصدور، ولا في الألسنة، وإنما المراد بها مقابل المجاز أي: يصح أن يطلق على القرآن حقيقة أنه مكتوب محفوظ مقروء أي: أن إسناد كل من هذه الثلاثة إلى القرآن إسناد حقيقي كل منها باعتبار وجود من الوجودات الأربعة كما لا يخفى، لا أنها إسناد مجازي[١]، قلت: قال الشيخ[٢]: وإيضاح ذلك: أنه يصح أن يقال: القرآن مكتوب محفوظ مقروء، وأنه غير مخلوق أي: موجود أزلا وأبدا اتصافا له باعتبار الوجودات الأربعة التي هي لكل موجود وهي: الوجود الخارجي، والوجود الذهني، والوجود في العبارة، والوجود في الكتابة، وهي تدل على العبارة، وهي على ما في الذهن، وهو على ما في الخارج، فالقرآن باعتبار الوجود الذهني محفوظ في الصدور، وباعتبار الوجود اللساني مقروء بالألسنة، وباعتبار الوجود الكتابي مكتوب في المصاحف، وباعتبار الوجود الخارجي، وهو: المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدر، ولا بالألسنة، ولا في المصاحف، وأما الألفاظ المركبة من الحروف، فإنها أصوات هي: أعراض، والله أعلم.

وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف[٣] في الكلام على الكتاب العزيز: اعلم أن القرآن يطلق لمعنيين: أحدهما الكلام النفسي القائم بالذات المقدس. الثاني : اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهل إطلاقه عليهما بالاشتراك، أو هو في الثاني مجاز مشهور؟ الظاهر الاشتراك قال[٤]: ثم إن القرآن بالمعنى الأول محل نظر لعلماء أصول الدين، وبالمعنى الثاني محل نظر لعلماء العربية، والفقه، وأصوله، قال ووجه الإضافة في تسمية كلام الله بالمعنى الأول: أنه صفة الله تعالى، وبالمعنى الثاني: أنه تعالى أنشأه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى:﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[٥]، أو بحروفه في لسان الملك لقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٦]، أو لسان النبي لقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾[٧]، ومعلوم أن المنزل على القلب هو المعنى، لا اللفظ، لا مجرد كونه دالا على كلامه القديم، ثم إنه هل يعتبر في التسمية بالقرآن بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل: إنه اسم

---

(١) حسن العطار حاشية العطار على شرح الجلال المحلي ط دار الكتب العلمية بدون ذكر تاريخ /ج٢/٤٥٨.

(٢) يقصد به ابن عربي وانظر اليواقيت ج١/ ص ٦٨.

(٣) إبراهيم بن محمد بن أبي بكر، المعروف بابن أبي شريف (٨٣٦: ٩٢٣هـ= ١٣٣: ١٥١٧م). الأعلام ج١/ ص ٦٦. وانظر: وشذرات الذهب، ج٨/ ص ١١٨.

(٤) حسن العطار حاشية العطار على شرح الجلال المحلي ط دار الكتب العلمية بدون ذكر تاريخ /ج٢/٤٥٨.

(٥) سورة البروج الآية ٢١: ٢٢.

(٦) سورة التكوير الآية ١٩.

(٧) سورة الشعراء الآية ١٩٣: ١٩٤.

لهذا المؤلف القائم بأول لسان اخترعه الله تعالى فيه، أو لا يعتبر في التسمية إلا خصوص التأليف الذي لا يختلف باختلاف المتلفظين ؟ الصحيح الثاني؛ لأنا نقطع أن ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى الأول يكون مثل القرآن لا نفسه، قال وقد منع السلف من إطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثاني في اللسان أو في المصحف، ومن القول بكونه مخلوقا أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم إلى القرآن بالمعنى الأول الذي هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى انتهى)[١].

وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني[٢] في كتابه سراج العقول[٣]: (وقد أجمع السلف كلهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بأنه القراءة أو المقروء أو الكتابة أو المكتوب، كما أجمعوا على أنهم إذا زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المزور والمصلى والمسلم عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم من غير بحث أنه شخصه أم روحه، وأطال في ذلك في الباب الخامس من كتابه)[٤].

التساؤل الثالث: كيف نزلت الأحاديث القدسية لفظا أم معنى؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل نزلت الأحاديث القدسية[٥] على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا أو معنى؟

فالجواب: أنها نزلت معنى لا لفظا، فعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو، وذلك لأنها لم تنزل للإعجاز بألفاظها كالقرآن، وهي كلام الله تعالى بلا شك) [٦].

التساؤل الرابع: هل ما جاء بلفظ الجعل والحدوث يدل على أن القرآن مخلوق؟

يقول الإمام الشعراني:(فإن قلت: فما معنى قوله تعالى:﴿**إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا**﴾[٧]، فإنه يوهم أنه مخلوق.

فالجواب: ليس الجعل بمعنى الخلق في سائر الأحوال بدليل قوله تعالى: ﴿**جَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا**﴾[٨])[١].

---

(١) الكمال بن أبي شريف بن الهمام، المسامرة في شرح المسايرة في علم الكلام ، مع حاشية زين الدين بن قاسم على المسايرة مفصولة بجدول، وشرحه الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي /ج١/ ص٨٣: ٨٤.

(٢) طاهر بن أحمد بن محمد القزويني (٤٩٣- ٥٨٠ هـ = ١٠٩٩- ١١٨٤م)، راجع الأعلام ج٤/ ٣١٥.

(٣) سراج العقول في منهاج الوصول للقزويني ت عبد المولى هاجل ط ٢ فرنسا بدون ذكر دار النشر ١٤٤٧هـ/ ص ١٦٣.

(٤) اليواقيت والجواهر ج ١/ ١٦٩.

(٥) الحديث القدسي هو من حيث المعنى من عند الله تعال ، ومن حيث اللفظ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ما أخبر الله تعالى نبيه بإلهام أو المنام فأخبر عليه السلام عن ذك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل عليه؛ لأن لفظه منزل أيضا راجع التعريفات ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م / ص ٨٣ : ٨٤.

(٦) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٧٠.

(٧) سورة الزخرف الآية ٣.

(٨)سورة الزخرف الآية ١٩.

التساؤل الخامس: هل يعتقد أحد أن رسول الله بلغ شيئا من القرآن بالمعنى؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل يجوز لأحد أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيئا من القرآن على المعنى ؟

فالجواب: لا يجوز لأحد اعتقاد ذلك؛ لأنه لو قدر أنه تصرف في اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا لنا صورة فهمه، لا صورة ما نزل، والله تعالى يقول: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم﴾[٢]، فمن المحال أن يغير صلى الله عليه وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها، بل لو فرض أنه صلى الله عليه وسلم علم جميع معاني كلام الله عز وجل بحيث لا يشذ عنه شيء من معانيه وعدل عما أنزل فأي فائدة للعدول وحاشاه من ذلك إذ لو تصرف في صورة ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليه أنه بلغ الناس ما نزل إليهم وما يتنزل إليهم، ولا قائل بذلك فافهم، وقد أطال الشيخ الكلام على حديث: {القوم الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم }[٣] في الباب الخامس والعشرين وثلاثمائة من الفتوحات[٤] فراجعه)[٥].

التساؤل السادس: إذا كان القرآن كلاما نفسيا فكيف ظهر لنا بالألفاظ؟

يقول الإمام الشعراني:(فإن قلت: فما مثال الوحي إذا ظهر لنا بالألفاظ؟

فالجواب: أن مثال ظهور الوحي بالألفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية[٦]، فإن جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا، ولا كان بشرا ولا ملكا معا في حالة واحدة فكما تبدلت صورته في أعين الناظرين، ولم تتبدل حقيقته التي هي عليها فكذلك الكلام الأزلي والأمر الأحدي يتمثل بلسان العربي تارة وبلسان العبري تارة وبلسان السرياني أخرى، وهو في ذاته أمر واحد أزلي فالكافر والمشرك يسمع كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعيهما بعد المشرقين إذ لو كان سماعهما واحدا لبطل الاصطفاء.

قال الشيخ أبو طاهر القزويني[٧] رحمه الله بعد كلام طويل: وبالجملة فالأئمة الكبار من شيوخ السلف مثل الإمام أحمد[٨] وسفيان[٩] وسائر أصحاب الحديث[١] كانوا

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٠.

(٢) سورة النحل الآية ٤٤.

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٩٣٠) ومسلم (١٠٦٦) والترمذي في سننه برقم (٢١٨٨) وابن ماجه (١٦٨) وأحمد (٣٨٣١)

(٤) الفتوحات المكية ج٥/١٣٧.

(٥) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٠.

(٦) دحية بن خليفة الكلبي صحابي جليل (ت ٤٥هـ = ٦٦٥م) راجع العلام ج٢/٣٣٧.

(٧) علي بن عمر بن محمد القزويني (٣٦٠: ٤٤٢هـ = ٩٧٠ : ١٠٥٠م) راجع الأعلام ج٤/ ٣١٥ .

(٨) أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤: ٢٤١= ٧٨٠: ٨٥٥م راجع الأعلام ج١/ ٢٠٣.

(٩) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧: ١٦١هـ = ٧١٦ : ٧٧٨م) الأعلام ج٣/ ١٠٤.

أكثر علما وأغزر فهما وأكمل عقلا، ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بأن استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا إلا على من رزقه الله الفهم عنه إذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم أن تتزلزل عقائدهم فأمروهم بمحافظة الأمر الظاهر والإيمان به قطعا من غير بحث على المعنى الحقيقي إذ قد صح إيمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لأصحابهم: اقرؤوها كما جاءت من غير كيف وقولوا: آمنا به وصدقنا ولعمري إن في ذلك مصلحة عظيمة للعوام.

وأما الأئمة فمحال أن يخفى عليهم التحقيق في هذه المسألة رضي الله تعالى عنهم. قال الحافظ الذهبي[٢] رحمه الله: وإنما وقعت المحنة للعلماء في زمن المأمون[٣] دون غيره من الخلفاء لأن المأمون كان فقيها ماهرا قد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، ولولا ذلك لكان من أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وسؤددا، ثم تولى بعده أخوه المعتصم[٤] فامتحن العلماء كذلك في مسألة خلق القرآن وجدد مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق[٥] بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك بإغراء أحمد بن أبي داود[٦] مدة، ثم تاب الواثق وأظهر السنة انتهى والله تعالى أعلم) وأما نقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسألة فقال في الباب الرابع والثلاثين من الفتوحات)[٧].

التساؤل السابع : لماذا نزل القرآن ليلة القدر؟

يقول الإمام الشعراني:(إن قلت: ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر؟

فالجواب: إنما خص نزوله بليلة القدر؛ لأن بالقرآن تعرف مقادير الأشياء وموازينها وكان نزوله في الثلث الآخر منها انتهى)[٨].

التساؤل الثامن: كيف نفهم هذه الآية ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكر مِّن رَّبِّهِم مُّحدَثٍ﴾[١] مع كون القرآن قديما؟

---

(١) الصنف الثاني منهم أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث الذين اعتقدوا في أصول الدين مذهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية، ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك، والشافعي، والأوزعي، والثوري، وأبو حنيفة، وابن أبي ليلي، وأصحاب أبي تور، وأصحاب أحمد راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣١٣: ٣١٥. بدون طبعة

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣: ٧٤٨هـ = ١٢٧٤: ١٣٤٨م) راجع الأعلام ج٥/ ٣٢٦.

(٣) عبدالله بن هارون الرشيد المأمون (١٧٠: ٢١٨هـ = ٧٨٦: ٨٣٣م) راجع الأعلام ج٤/ ١٤٢.

(٤) محمد بن هارون الرشيد المعتصم بالله العباسي (١٧٩: ٢٢٧هـ = ٧٩٥: ٨٤١م) راجع الأعلام ج٧/ ١٢٧ .

(٥) هارون (الواثق بالله) بن محمد بن هارون الرشيد، (٢٠٠– ٢٣٢هـ= ٨١٥– ٨٤٧ م). الأعلام، ج٨/ ٦٢.

(٦) أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك (١٦٠: ٢٤٠هـ = ٧٧٧: ٨٥٤م) راجع الأعلام ج١/ ١٢٤.

(٧) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٧٠.

(٨) اليواقيت والجواهر ج١/١٧١.

يقول الإمام الشعراني:(فإن قلت: فما المراد بقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكر مِّن رَّبِّهِم مُّحدَثٍ﴾[٢]؟ فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة[٣]: إن المراد أنه محدث الإتيان لا محدث العين، فحدث علمه عندهم حين سمعوه، وهذا كما تقول: حدث اليوم عندنا ضيف، ومعلوم أنه كان موجودا قبل أن يأتي، وكذلك القرآن جاء في مواد حادثة تعلق السمع بها، فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات، فله الحدوث من وجه والقدم من وجه)[٤].

التساؤل التاسع: هل الكلام لله والترجمة للمتكلم؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فإذن الكلام لله والترجمة للمتكلم؟

فالجواب: نعم وهو كذلك بدليل قوله تعالى مقسمًا أنه يعني القرآن:﴿لَقَولُ رَسُول كَرِيم ﴾[٥]فأضاف الكلام إلى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَجِرهُ حَتَّىٰ يَسمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٦]فإذا تلى علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله، ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فإن ذلك يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط انتهى.

وسمعته يقول أيضا[٧] : المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين إلى خمسة حروف فأكثر متصلة أو منفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فإن نظرت إلى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وإن نظر إليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه الحق الثاني انتهى.

وسمعته أيضا يقول[٨] في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَعمَٰلُهُم كَسَرَابِ بِقِيعَة يَحسَبُهُ ٱلظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَهُۥ لَم يَجِدهُ شَيئا﴾[٩]، فكما أن الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الأمر بصوت ولا حرف وإن كان من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر إلا بمناسبة تكون بينهما فهو مثله في النسبة لا مثله في العين فكما

---

(١)سورة الأنبياء الآية ٢.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢.

(٣) الفتوحات المكية ج٦/ ١٠٦.

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٧٢.

(٥) سورة التكوير اية ١٩.

(٦) سورة التوبة الآية ٦.

(٧) راجع اليواقيت والجواهر ج١/ص ١٧٢.

(٨)راجع اليواقيت والجواهر ج١/ص ١٧٢.

(٩) سورة النور الآية ٣٩.

أن الظمآن إذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف إذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه، فقلت له: فهل للحق تعالى أن يتكلم بصوت وحرف لإطلاقه تعالى من حيث إنه ﴿ فَعَّال لِّمَا يُرِيدُ ﴾[١] فقال لا يصح ذلك للحق لأنه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى ﴿ فَعَّال لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٢] مما لا يشبه خلقه فيه وأما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هو بصور حقيقة كما قلنا في الصوت والحرف انتهى ، وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة[٣])[٤].

التساؤل العاشر: هل يكلم الله تعالى أحد من غير حجاب؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صوري؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين وثلاثمائة[٥]: (أنه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط إلا من وراء مظهر تقييدي يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط في حال المنازلات الخطابية إلا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والأسرار وهي السنة المفهومة ألا ترى أنه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام إلا في تجليه له في صورة حاجته التي هي النار انتهى. قلت : وهو كلام يحتاج إلى تحرير فليتأمل والله أعلم)[٦].

التساؤل الحادي عشر: هل القرآن حال في القلب من غير حرف وصوت أم بهما؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل يقال إن القرآن القديم حال في القلب بلا صوت وحرف أم بصوت وحرف؟

فالجواب: إن القرآن ما دام في القلب فهو إحدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو في قلوب العلماء به على غير الصورة يظهر بها في ألسنتهم؛ لأن الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره، ثم إن الخيال يأخذه من القلب فيجسده ويقسمه، ثم يأخذ منه اللسان فيصيره بشاكلته ذا حرف وصوت ويقيد به سمع الآذان وقد قال تعالى: ﴿ فَأَجِرهُ حَتَّىٰ يَسمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٧]، فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الأعرابي يسمع أذنه في حال ترجمته، فالكلام لله

---

(١) سورة البروج الآية ١٦.

(٢)سورة البروج الآية ١٦.

(٣) الفتوحات المكية ج٦/ص٢٣١.

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٧٢.

(٥) الفتوحات المكية.ج٦/٣٣٢.

(٦) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٣

(٧) سورة التوبة الآية ٦.

بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان، أي: من حيث الحروف والأصوات، ويصح إسناد الكلام إلى العبد مجازا كما يأتي بسطه قريبا في باب الأسرار والقلب بيت الرب انتهى ذكره في الباب التاسع والعشرين وثلاثمائة[١]، وقال في باب الأسرار[٢]: لو حلّ بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسك إلا من عرفه، ولا يضم المعنى سوى حرفه ذكر القرآن أمان، وبه يجب الإيمان أنه كلام الرحمن مع قطع حروفه في اللسان، ونظم حروفه فيما رقم باليراع والبنان فحدثت الألواح والأقلام، وما حدث الكلام وحكمت على العقول الأوهام بما عجزت عن إدراكه الأفهام، ولو قدر أنه ينال بالإلهام لكان العامل به هو العلام انتهى.

وقال فيه أيضا[٣] الذكر القديم ذكر الحق وإن حكى ما نطق به الخلق كما أن الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وإن كان كلام الحق إذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه العبد من تسنيم لا يعرف الحق في هذه المسألة إلا من كان الحق تعالى قواه، ولا يكون قواه إلا إن قواه.

وقال فيه أيضا[٤]: الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة؛ لأن له الإحاطة وحدوثه وروده علينا كما يقال: حدث عندنا اليوم ضيف انتهى، وقال فيه أيضا[٥]: لا يضاف الحدوث إلى كلام الله إلا إذا كتبه الحادث، أو تلاه ولا يضاف القدم إلى كلام الحادث إلا إن سمعه من الله.

وقال فيه أيضا[٦]: أصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذي لا يبلغه تنزيه نزل إلى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس هو مثلهم، أو مشترك وعلى كل حال فالمسألة فيها إشكال؛ لأن العبارات لنا والكلام لله ليس هو لنا فما هو التنزل والمعاني لا تتنزل إن كانت العبارات فما هو القول الإلهي، وإن كان القول فما هو اللفظ الكتابي وهو اللفظ بلا ريب، فأين الشهادة والغيب؟ إن كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا؟ وما ثم قيل إلا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم[٧] فتحقق بذلك ولا تنطق انتهى.

---

(١) الفتوحات المكية.ج٥/١٦٠.

(٢) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠٦.

(٣) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠٧.

(٤) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠٦.

(٥) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠٧.

(٦) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠٧.

(٧) بصف الصوفية علماء التصوف بأنهم لا رسم لهم أي ليس لهم ظواهر وعلامات ولهذا يسمون الفقه وأهل الأثر ونحوهم علماء الرسوم؛ لأنهم عندهم لم إلى الحقائق بل اشتغلوا عن معرفتها بالظواهر والأدلة . مدارج السالكين وانظر اليواقيت ج٢/ص١٧٤.

وقال فيه أيضا[١]:لا تقل أنا إياه لقوله :﴿فَأَجِرهُ حَتَّىٰ يَسمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٢]، أنت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف، والصفة عين الموصوف انتهى ،وهذا لا يتمشى على مذهب ما يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا[٣] فليحرر، وقال فيه أيضا[٤]: القرآن كله قال الله، وما جاء فيه قط تكلم الله)[٥].

التساؤل الثاني عشر: ما الفرق بين قال الله، وتكلم الله؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: ما الحكمة في ذلك.

فالجواب: أنه لو جاء في القرآن تكلم الله ما كفر به أحد، ولا أنكر فضله ولا جحد، ألا ترى قوله تعالى:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكلِيما﴾[٦]، كيف أثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه، فإن الكلام مأخوذ من الكلم الذي هو الجرح والتأثير، فإذا أثر القول فما هو لذاته، ففرق يا أخي بين القول والكلام، كالفرق بين الوحي والإلهام، وبين ما يأتيك في اليقظة والمنام تكن من أهل ذي الجلال والإكرام انتهى[٧].

وفيه أيضا[٨] ما العجب إلا منا كيف نتلوا كلامه وهو قائم بذاته؟ والله إنها سطور مسدلة، وأبواب مقفلة، وأمور مبهمة، وعبارات موهمة، هي شبهات من أكثر الجهات انتهى)[٩].

التساؤل الثالث عشر: هل تتشكل الحروف اللفظية أم تصير هباء بعد خروجها؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فهل تتشكل الحروف اللفظية في الهواء، أم تذهب هباء منثورا بعد خروجها؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين[١٠]: إنها تتشكل في الهواء إذا خرجت ولذلك تتصل بالمسموع على صورة ما نطق بها المتكلم، فإذا تشكلت في الهواء تعلقت بها أرواحها ولا يزال الهواء يمسك عليها شكلها، وإن انقضى عملها فإن عملها وتأثيرها إنما يكون في أول ما تتشكل في الهواء ثم بعد ذلك تلحق بسائر الأمم فيكون شغلها تسبيح ربها)[١١].

---

(١) الفتوحات المكية ج٨/ ٩١.

(٢) سورة التوبة الآية ٦.

(٣) الفتوحات المكية ج٨/ ٩١.

(٤) الفتوحات المكية ج٨/ ١٢٤.

(٥) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٣.

(٦) سورة النساء الآية ١٦٤.

(٧) الفتوحات المكية ج٨/ ١٢٤.

(٨) الفتوحات المكية ج٨/ ١٢٩.

(٩) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٤

(١٠) الفتوحات المكية.ج١/٢٩٠.

(١١) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٤

التساؤل الرابع عشر: هل كلمة كفر تسبح ربها مثل كلمات الخير؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قيل: فإذا كانت كلمة كفر، فهل تكون مثل كلمات الخير في كون شغلها تسبيح ربها؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب السابق[١]: إنما يكون شغلها تسبيح ربها، ولو كانت كلمة كفر، فإن وبال ذلك إنما يعود على المتكلم بها لا عليها؛ لأنها نشأت مسبحة لله لا يعلم بما على قائلها من الإثم، وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها، كما يؤيده حديث: { إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها في نار جهنم سبعين خريف}[٢] وتأمل كلام الله تعالى تراه يمجد ويعظم ويقرأ على جهة القربة إلى الله تعالى، وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله تعالى من الكفر والسب وهي كلمات كفر عاد وبالها على قائلها، وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة أو نعيمه)[٣].

التساؤل الخامس عشر: هل الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فإذن هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها.

فالجواب: نعم لا يلحقها موت، بخلاف الحروف الرقمية؛ لأنها تقبل التغير والزوال إذ هي في محل يقبل ذلك، وأما الأشكال اللفظية فلها البقاء لكونها في محل لا تقبل التغير[٤])[٥] .

التساؤل السادس عشر: لماذا أمرنا الله بالاستعاذة بالقرآن دون غيره؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فما الحكمة في قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرءَانَ فَٱسْتَعِذ بِٱللَّهِ** ﴾[٦]، دون قوله، فإذا قرأت الفرقان مع أنه من أسماء القرآن؟

فالجواب: إنما لم يقل الفرقان؛ لأن الفرقان يطرد إبليس، فلا يحضر القارئ فلا يحتاج إلى الاستعاذة بالله منه، بخلاف القرآن فإن جمع فيدعو إبليس إلى الحضور فيحتاج القارئ إلى الاستعاذة بالله منه)[٧].

التساؤل السابع عشر: فلم لم يؤمر المستعذ بالاستعاذة من إبليس بأحد من أولي العزم من الرسل؟

---

(١) الفتوحات المكية ج١/ ٢٩٠

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري ب(٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) والترمذي (٢٣١٤) وأحمد (٧٢١٥) وابن ماجه (٣٩٧٠).

(٣) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٥

(٤) الفتوحات المكية ج١/ ٢٩٠

(٥) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٥

(٦) سورة النحل الآية ٩٨.

(٧) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٥

يصور الإمام الشعراني ذلك التساؤل وجوابه فيقول: (فإن قلت: فلم لم يؤمر المستعذ بالاستعاذة من إبليس بأحد من أولي العزم من الرسل والملائكة؛ لكون كيده ضعيفا، وأولو العزم أقوى منه بيقين؟

فالجواب: إنما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الإلهية، أما بالنظر إلى الخلق فهو قوي جدا؛ لأنه في حضرة الإرادة التي قهرت العالم كله؛ ولذلك كان الاستعاذة منه باسم الجامع الذي هو الله دون غيره، فأي طريق أتاهم منها وجد الاسم مانعا له عن الحضور بخلاف الأسماء الفروع)[١].

التساؤل الثامن عشر: هل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الله تعالى مثل مالم يحكه؟

يصور الإمام الشعراني هذا التساؤل وجوابه فيقول: (فإن قلت: فهل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل: ثواب ما لم يحكه مما اختص به تعالى؟

فالجواب: نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذي لم يحكه عن أحد من خلقه؛ لكونه قديما، ولو حكاه عن الخلق، كما أن العارف يأخذ كلام الحق الذي قاله ابتداء بغير الوجه الذي قاله تعالى استدعاء، وكما أنه يأخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذي يحكيه عنهم باللفظ.

وقد قال الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة[٢]: (إذا تلوت القرآن فاعلم ممن تتراجم، فإن الله عز وجل تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى، مثال الأول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر[٣]: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٤]، ومثال الثاني قوله تعالى حكاية عن قول فرعون[٥]: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا﴾[٦]فإنه إنما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد، فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعلم الأمور الإلهية إذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله أصالة، وبين كلامه حكاية، ويميزه عن بعضه بعضا، فآخر قول الله عز وجل: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٥

(٢) الفتوحات المكية ج ٤/ ٦٥ : ٦٦.

(٣) أبو بكر الصديق عبدالله ويقال له: عتيق بن أبي قحافة الصحابي الجليل (٥١ق : ١٣هـ = ٥٧٣:٣٤م) راجع الأعلام ج١٠٢/٤.

(٤) سورة التوبة الآية ٤٠.

(٥) رَمسِيس الثاني (حوالي ١٣٠٣ ق.م – ١٢١٣ ق.م) يُشار إليه أيضًا باسم رمسيس الأكبر، وكان الفرعون الثالث من حكام الأسرة التاسعة عشر المصرية، وقيل هو علم لمن ملك مصر من العمالقة (حكم ١٢٧٩ ق.م – ١٢١٣ ق.م). راجع تفسير الرازي/ ج٢/ص ٧١. طبعة دار الفكر الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(٦) سورة غافر الآية ٣٦.

جَاءَكُم رَسُول مُّصَدِّق لِّمَا مَعَكُم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ} قَالَ ﴿ءَأَقْرَرْتُم وَأَخَذْتُم عَلَىٰ ذَٰلِكُم إِصْرِى﴾[١]قالوا: ثم إنه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم أقررنا، وكذلك قوله عن المنافقين: ﴿إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحْنُ مُستَهزِءُونَ﴾[٢].

وإلى هنا انتهى قوله تعالى، ثم إنه حكى عنهم قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحْنُ مُستَهزِءُونَ﴾[٣] وقس على ذلك ما يشاكله في القرآن تجده كثيرا، وهذا علم لم أجد لأحد قدما فيه من أهل عصري، فالحمد لله الذي أهلنا لذلك، فإنه ليس لنا مادة نستخرج منها علومنا إلا القرآن العظيم، وما كلّ أحد أوتي مفاتيح الفهم فيه إنما ذلك لأفراد من الناس)[٤].

التساؤل التاسع عشر: إذا كان القرآن عربيا فلم لا تفهم العرب معاني الحروف المقطعة وغيرها؟

يصور ويجيب الإمام الشعراني عن هذا فيقول :(فإن قلت: إذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معاني الحروف التي هي أوائل السور المرموزة: ك﴿الم﴾[٥]و﴿المص﴾[٦]،ونحو ذلك فإنه بلسانهم[٧]؟

فالجواب: إنما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم الإيمان بها ولم يفهموا انتهى؛ فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا بأهل الكشف، ولا يقال: إن أهل الكشف لا يعرفونها أيضا؛ لأنّا نقول: إنه لا بد من أن يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى؛ وإلا فلو لم يصح لأهل الكشف علمها لكانت حشوا، ولا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الأصول[٨] خلافا للحشوية[١] بإسكان الشين المعجمة مأخوذ من قولهم: إن في القرآن حشوا.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨١.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤.

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٥

(٥) سورة البقرة الآية ١.

(٦) سورة الأعراف الآية ١.

(٧) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٥

(٨) علماء الأصول: هم: الصنف الثاني منهم أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث الذين اعتقدوا في أصول الدين مذهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية، وتبرءوا من القدر والاعتزال، واثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل، وأثبتوا الحشر من القبور، ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة، وغفران الذنوب التي دون الشرك، وقالوا: بدوام نعيم الجنة عل أهلها، ودوام عذاب النار عل الكفرة، وقالوا: بإمامة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأحسنوا الثناء عل السلف الصالح على من الأمة، وروا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة، وراوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة، ومن إجماع الصحابة، ورأوا جواز المسح عل الخفين، ووقوع الطلاق الثلاث، ورأوا تحريم

ورأيت في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات[٢] ما نصه: (اعلم أن جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة ، قال: وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع، وما منهم ملك إلا وأفادني علما لم يكن عندي، فهم من جملة أشياخي من الملائكة، فإذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه؛ لأنه ثم رقائق ممتدة من ذواتهم إلى أسمائهم، فإذا قال القارئ ﴿الٓمٓ﴾[٣]مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة: ما تقول، فيقول القارئ: ما بعد هذه الحروف فيقولون له: صدقت إن كان خيرا ويقولون: هذا مؤمن نطق بحق، وأخبر بحق؛ فيستغفرون له، وهكذا القول في ﴿الٓمٓصٓ﴾[٤]ونحوها قال: وهم أربعة عشر ملكا آخرهم ﴿نٓ﴾[٥]، قال: وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو: ﴿صٓ﴾[٦]، و﴿قٓ﴾[٧]، و ﴿نٓ﴾[٨]ومنازل ظهر فيها اثنان مثل: ﴿طسٓ﴾[٩]، و ﴿يسٓ﴾[١٠]،

المتعة، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية، ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك، والشافعي، والأوزعي، والثوري، وأبو حنيفة، وابن أبي ليلي، وأصحاب أبي تور، وأصحاب أحمد، وأهل الظاهر، وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية، ولو يخلطوا فقيها بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة. راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣١٣: ٣١٥. بدون طبعة.

(١) الحشوية: ليست فرقة معينة، وإنما هي فئات مختلفة تجمعها روح واحدة تتسم بالتعصب للنصوص والفهم الحرفي لها دون تمحيص أو نقد كاف لمحتواها أو للطريق الذي وردت منه ، وأداهم ذلك إلى التجسيم والتشبيه أي نسبة صفة المخلوقات والأشياء المادية الجسمية لله تعالى . راجع المدخل لدراسة علم الكلام د حسن الشافعي / ص ٧٥: ٧٩، وهامش الإشارة في علم الكلام للإمام الرازي ص ٣٥، وراجع أيضا ، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري تأليف ناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبي القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفي ٥٧١هـ طبعة دار الفكر بدمشق الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ القدس ، وشرح الطحاوية ٣٠ البابرتي ، راجع الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي تأليف على بن عبد الكافي السبكي المتوفي عام ٧٥٦هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت / ج ١/ص ٣٤٦، وانظر الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات تأليف سعد رستم/ ص ١٠٥: ١١٠ الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ٢٠٠٥ الأوائل للنشر والتوزيع.

(٢) لفتوحات المكية. ج٤/ ١١٦.

(٣) سورة البقرة الآية ١.

(٤) سورة الأعراف الآية ١.

(٥) سورة القلم الآية ١.

(٦) سورة ص الآية ١.

(٧) سورة ق الآية ١.

(٨) سورة القلم الآية ١.

(٩) سورة النمل الآية ١.

(١٠) سورة يس الآية ١.

و﴿حمّ﴾[١]، وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الإيمان، فإن الإيمان بضع وسبعون درجة، والبضع من واحد إلى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع)[٢].

وأطال في ذلك[٣] ثم قال:(فمن نظر في هذه الحروف وهذا الباب الذي فتحته له رأى عجائب سخرت له هذه الأرواح الملكية التي هي هذه الحروف أجسامها فتمده بما بيدها من شعب الإيمان وتحفظ عليه إيمانه إلى الممات انتهى)[٤].

خاتمة: ذكر الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة[٥]: (أن جميع المحكم من القرآن عربي وجميع المتشابه أعجمي، ومعلوم أن العجمية عند أهلها عربية، والعربية عند أهلها عربية، وما ثم عجمة إلا في الاصطلاح والألفاظ والصور الظاهرة، وأما في المعاني فكلها عربية لا عجمة فيها، فمن ادعى معرفة علم المعاني وقال: بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه، فإن المعاني كالنصوص عند أهل الألفاظ؛ لكونه بسائط تركيب فيها، فلو لا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود، فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك)[٦].

صفة البقاء

صفة البقاء أو اسم الله الباقي: استغنى بذكر اسمه الحي عن ذكره، فإن صفات المعاني إنما هي سبعة في الحقيقة، ومعنى البقاء: من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر، والحي من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء، وأدرج البقاء في الصفات السلبية[٧]، والمعتزلة[٨] قالوا: إنه تعالى باق لذاته لا ببقاء[٩].

يقول الإمام الشعراني:(وأما الكلام على الاسم الباقي تعالى: فاعلم أن الباقي هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر، وبعضهم استغنى بذكر اسمه الحي عن ذكر هذا الاسم، فإن الصفات الإلهية إنما هي سبعة في الحقيقة عدد نجوم الثريا، وإنما استغنى بالحي تعالى؛ لأن الحي من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء، وقد تقدم في مبحث كون الصفات الإلهية عينا أو غيرا أن الأصوليين اختلفوا في صفة

---

(١) سورة غافر الآية ١.

(٢) الفتوحات المكية. ج٤/ ١١٦.

(٣) الفتوحات المكية. ج٤/ ١١٦.

(٤) الفتوحات المكية. ج٤/ ١١٦.

(٥) الفتوحات المكية. ج٦/ ٣٢٢.

(٦) اليواقيت والجواهر ج١/١٧٦.

(٧) راجع هداية المريد لعلم التوحيد لإبراهيم اللقاني تحقيق الأستاذ الدكتور محمد يسري جعفر/ص ١٣٢.

(٨) فرقة كلامية تعتمد على العقل وتنسب إلى واصل بن عطاء. راجع الفرق والجماعات الدينية لسعيد مراد / ٩٣.

(٩)راجع هداية المريد لعلم التوحيد لإبراهيم اللقاني تحقيق الأستاذ الدكتور محمد يسري جعفر/ص ١٣٣.

البقاء، وأن الأشعري[١]وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات، وأن المعتزلة' والقاضي[٢] والإمامين[٣] قالوا: إنه تعالى باق لذاته لا ببقاء، وأدلة الفريقين مسطورة في كتب أصول الدين والله تعالى أعلم)[٤].

يقول الإمام الشعراني في القواعد الكشفية: (ولا نهاية لبقائه، بل وجوده مطلق مستمر قائم بنفسه ولا نهاية لبقائه، بل وجوده مطلق مستمر قائم بنفسه، وأنه تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء)[٥].

الخلاصة: أن كلام الإمام الشعراني لا يخرج عن كلام المتكلمين في الصفات الإلهية، فصفات المعاني صفات كمال في حق الله، وعليه فنسبة إضافتها إلى الخالق تختلف عن نسبتها إلى المخلوق، فلا يجوز إضافة مثل ذلك إلى الحق على وجه إضافتها إلى الخلق بإجماع أهل الكشف والنظر؛ لأن هذه الصفات وأمثالها، صفات نقص في الخلق، وصفات كمال بالنسبة للخالق، فيجب الإيمان بها على حد علمه تعالى، لا على حد ما تتعلق بعباده، فهو لا يعزب عن علمه شيء، ولا يقال: إن القدرة الإلهية تتعلق بلا شيء ما ليس ثابتا في العلم الإلهي، وعليه فلا يقال: إن العالم قديم، فهو قديم في العلم فقط، حادث في الظهور في عالم الشهادة.

والملاحظ أن الإمام الشعراني نقل نصوصا كثيرة عن أهل الكشف وبخاصة ابن عربي ليؤكد بها مذهبه، الذي انتهى فيه إلى أن صفاته تعالى لها أحكام، ووظائف، وتعلقات.

أما من حيث أحكامها فهي: صفات، قديمة، زائدة على الذات، قائمة به تعالى .

وأما من حيث وظائفها فهي: العلم يقتضي معلوما ينكشف به، والإرادة تقتضي مرادا يتخصص بها، والقدرة تقتضي مقدورا يتأتى بها إيجاده وإعدامه، والسمع يقتضي مسموعا يسمع به، وكذا البصر يقتضي مبصرا يبصر به، والكلام يقتضي مدلولا يدل عليه، والحياة مصححة لكل هذا.

وأما من حيث تعلقها بالاحتمالات العقلية:

- فمنها ما يتعلق:

إما بجميع أقسام الحكم العقلي وهما: العلم والكلام.

---

(١) علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠: ٣٢٤هـ = ٨٧٤: ٩٣٦م. راجع الأعلام ج٤/ ٢٦٣.

(٢) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار(٤١٥هـ = ١٠٢٥م) الأعلام ج٣/ ص٧٣.

(٣) مصطلح "الإمامين" غير محدد، ويشير غالبًا إلى الإمامين الأكبرين في المذاهب الفقهية (أبو حنيفة ومالك) أو (الإمامين الحسين وعلي زين العابدين) عند الشيعة، أو الإمامين الأبرز في الحديث (البخاري ومسلم) وقد يختلف المعنى حسب السياق الديني أو المذهبي، ويرتبط بالمصطلحات الكبرى مثل الأئمة الأربعة، أو الأئمة الاثنا عشر، أو أئمة الحديث الستة، وكلها تشير إلى قادة دينيين أو فقهيين بارزين.راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣١٣: ٣١٥. بدون طبعة.

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٧٧.

(٥) القواعد الكشفية/ص ٣٣.

أو يتعلق بالممكن فقط وهما: القدرة والإرادة.
أو يتعلق بالموجودات فقط واجبة أو جائزة وهما: السمع والبصر.

- ومنها ما لا يتعلق وهو صفة الحياة[١].

المطلب الثاني: رأي الإمام الشعراني وأدلته على ما ذهب إليه

يرى الإمام الشعراني: أن القدرة مطابقة للعلم، فهي لا توجد ولا تعدم إلا ما كشفه العلم، فالواجب اعتقاده أنه تعالى علم الأشياء قبل وجودها في عالم الشهادة، ولما أوجدتها القدرة أوجدتها على حد ما علمها فلم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء، وقد استدل بكلام أهل الكشف على ذلك.

يقول الإمام الشعراني: (في وجوب اعتقاد أنه تعالى علم الأشياء قبل وجودها في عالم الشهادة ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء)[٢].

ويفصل الإمام الشعراني ما انتهى إليه في هذا الموضوع وأدلته على ذلك تحت عنوان العقيدة الواجبة على المسلم وملخص ما فصله: أنه تعالى علم فأحكم، وأراد فخص، وقدر فأوجد، وأنه تعالى لم يستفد علما جديا بوجود الأشياء الممكنات المحدثات.

وفي ذلك يقول الإمام الشعراني في القواعد الكشفية: (يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازمًا أن الله تعالى إله واحد لا ثاني معه....إلى أن قال: خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه بذلك سبق، فلا بد أن يخلق ما خلق، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير،﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٣]،﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٤]،﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٥]﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾[٦] كيف لا يعلم شيئا خلقه؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٧]علم الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ما علمها، فلم يزل عالما بالأشياء كلها، لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها، وبه حكم عليها من شاء وحكمها، يعلم الكليات والجزئيات، ولا يحتاج علمه بها إلى تفصيل كما هو علم خلقه، فهو عالم الغيب والشهادة، تعالى عما يشركون،

---

(١) راجع هداية المريد لجوهرة التوحيد/١٩٣المقرر على طلاب جامعة الأزهر
(٢) اليواقيت والجواهر ج ١/ ١٣٢.
(٣) سورة الطلاق اية ١٢.
(٤) سورة الجن الآية ٢٨.
(٥) سورة طه الآية ٧.
(٦) سورة غافر الآية ١٩.
(٧) سورة الملك ١٤.

فعال لما يريد، فهو المريد لجميع الكائنات في الأرضين والسماوات، لم تتعلق قدرته بإيجاد شيء حتى أراده، كما أنه تعالى لم يرده حتى علمه؛ إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالى ما لا يعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده، كما يستحيل أن يوجد هذه الحقائق من غير حي، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها...إلى أن قال: ولا شيء من جميع المتضادات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق جل وعلا، وكيف لا يكون مراد إله وهو أوجده ؟ أم كيف يوجد المختار ما لا يريد؟ لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء ، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئًا لم يرد الله لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه، ولا استطاعوه، ولا أقدرهم تعالى عليه، فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان والتوفيق والخذلان كلها من مشيئته وحكمه وإرادته، ولذلك قال أهل السنة: إن الحق تعالى إذا أراد من خلقه شيئاً لم يقسمه لهم لم يقدروا على إيجاده، بخلاف ما إذا أراد بهم ذلك، ففرق بين ما يريد بهم، ويريد منهم، وهو أمر دقيق لم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بالإرادة أزلاً والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدير عن جهل، فيعطيه التدير والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك، بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان، وأكوان وألوان، فلا مريد في الحقيقة على الحقيقة سواه؛ إذ هو القائل سبحانه: ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** ﴾[1]وإنه تعالى كما علم فأحكم، وأراد فخص، وقدر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك، أو سكن، أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجب سمعه البعد، فهو القريب، ولا يحجب بصره شدة القرب، فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، يرى السواد في الظلماء، والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج، ولا الظلمات، ولا النور، وهو السميع البصير، تكلم تعالى لا عن صمت متقدم، ولا عن سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلم به موسى عليه الصلاة والسلام بكلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والفرقان، من غير تشبيه ولا تكييف؛ كما أن كلامه تعالى من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه تعالى من غير أصمخة ولا آذان، كما أن بصره تعالى من غير حدقة ولا أجفان، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته وصفاته لا تقبل الزيادة ولا النقصان، فسبحانه سبحانه من بعيد دان، عظيم السلطان، عميم الإحسان، جسيم الامتنان، كل ما سواه فهو عن جوده

---

(١) سورة الإنسان الآية ٣٠.

فائض، وفضله عدله الباسط له والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه، ولا مدبر معه في خلقه .إن أنعم فنعم، فذلك فضله، وإن أبلى فعذب، فذلك عدله.لم يتصرف في ملكه غيره، فينسب إلى الجور والحيف، ولا يتوجه عليه لسواه حكم، فيتصف بالجزع كذلك والخوف.كل ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره. فهو الملهم لنفوس المكلفين التقوى والفجور، أي: لتعمل بالتقوى، وتجنب الفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور، لا يحكم عدله في فضله، ولا فصله في عدله، لقدم صفاته كلها، وتنزهها عن الحدوث، أخرج العالم قبضتين، وأوجدهم منزلتين، وقال: هؤلاء للجنة ولا أبالى، وهؤلاء للنار ولا أبلي، ولم يعترض عليه معترض هناك؛ إذ لا موجود كان ثم سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه، لو أراد تعالى أن يكون العالم كله سعيدا لكان، أو شقيا لما كان في ذلك من شأن، لكنه سبحانه وتعالى لم يرد ذلك، فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا، وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم، وقد قال تعالى في حديث فرض الصلاة: {هي خمس وهن خمسون }[١] ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢] لتصرفي في ملكي، وإنفاد مشيئتي في ملكي، وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر، إلا بوهب إلهي، وجود رحماني، لمن اعتى الله تعالى به واصطفاه من بين عباده، وسبق له ذلك في حضرة إشهاده فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم، وأنها من رقائق القديم، فسبحان من لا فاعل سواه، ولا موجود بذاته إلا إياه ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٤]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الأَنعَام : ١٤٩)[٥].

اعتراضات على رأي الإمام الشعراني في تلك المسألة

وقد دفع الإمام الشعراني ما يثار حول رأيه من اعتراضات أهمها:

الاعتراض الأول :ماذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة من علمه تعالى؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فإذا كان العالم كله موجودا في علم الحق فماذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة؟

---

(١) حديث صحيح الإسناد. اخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (٣٤٩) ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات (٦٣) والنسائي في كتاب الصلاة باب فرض الصلاة (٤٤٩) والقرطبي في تفسيره (٢٣/٣) وابن حجر في فتح الباري (٤٦٣/١) وابن حبان (٤٨) والترمذي (٣٣٤٦) والنسائي(٤٤٨).

(٢) سورة ق الآية ٢٩.

(٣) سورة الصفات الآية ٩٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٣.

(٥) القواعد الكشفية، ص: ٣٣.

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر من الفتوحات[١]: أن العالم استفاد ببروزه إلى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لا أنه استفاد حالة لم يكن عليها، وإيضاح ذلك: أن الأمور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى في مراتبها بتعداد صورها فلا بد من فارق يفرق بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو أن الحق تعالى يدرك جميع الممكنات في حال عدمها ووجودها وتنوعات الأحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الأحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهي في العدم أدركت تنوعات الأحوال عليها في خيالها فما أوجد الله الأعيان إلا ليكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيئا بعد شيء على التتالي والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء لأنها كانت معلومة للحق تعالى أهي معلوم علمه وهذه المسألة من أعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من أصحابنا من عثر عليها)[٢].

وملخص تلك الشبهة: أن العالم لم يستفد ببروزه إلى عالم الشهادة حالة لم يكن عليها بل استفاد علما بنفسه لم يكن عنده، وهذا هو الفرق بين علم الله وعلمنا فما أوجد الله الأعيان إلا ليكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيئا بعد شيء على التتالي والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء لأنها كانت معلومة للحق تعالى فأوجدها لها لا له تعالى.

الاعتراض الثاني: هل يوجد مثال يقرب كون الحق مرئيا لله تعال في عدمه الممكن؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت:(فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الإضافي؟

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلاثمائة[٣]: (إن أقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الدويبة المسماة بالحرباء، فإنها تتقلب في لون ما تكون عليه من الأجسام على التدريج شيئا بعد شيء، ما هي مثل المرآة تقلب الصورة بسرعة، ولا هي جسم صقيل، فقد أدركت يا أخي في الحس تقلب الحرباء في الألوان مع علمك بأن تلك الألوان لا وجود لها في ذلك الجسم الذي أنت ناظر إليه، ولا في أعيانها في علمك، فمن تحقق بهذا علم يقينا إدراك الحق تعالى للعالم في حال عدمه، وأنه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الإلهي انتهى)[٤].

ومما يقرب لكم أيضا تعقل شهود الحق تعالى للأعيان في حال عدمها قول الشيخ في باب الأسرار[٥]: العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم أعيانا حالها العدم، ثم

---

(١) الفتوحات المكية ج١/ ٢٤٧: ٢٤٨.

(٢) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٣٢.

(٣) الفتوحات المكية ج٥/ ٣٤٤: ٣٤٩.

(٤) الفتوحات المكية، ج٥/ ٣٤٤: ٣٤٩.

(٥) الفتوحات المكية ج٨/ ١٥٥.

إنه إذا أبرزهم إلى وجودهم تميزوا في الأعيان بحدودهم، ولكن انظر وحقق ما أنبهك عليه، وأستر وهو أن الله تعالى أوجد في عالم الدنيا الكشف والرؤيا؛ ليقرب ذلك الأمر على ضعفاء العقول فترى الأمور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها، وترى الساعة في مجلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت، ثم توجد بعد ذلك في مرآها كما رآها، فإن تفطنت يا أخي فقد رميت بك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى)[١].

وقال في الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة[٢]:(لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وإن لم تكن موجودة فما هي له مفقودة فهي في حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن في تصور ذلك ف ﴿**أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ**﴾[٣]انتهى)[٤].

وملخص تلك الشبهة: من المعلوم يقينا أن الحق تعالى على كل شيء قدير؛ لذا يدرك ويرى ويسمع الممكنات حال عدمها فيوجدها لنفوذ قدرته؛ فهي إن لم تكن موجودة بالفعل فما هي مفقودة له تعالى بالقوة في حال عدمها أو هو ما يسمى بالعدم الإضافي.

الاعتراض الثالث: هل الله تعالى تتعلق قدرته بالعدم المطلق؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: ما المراد بذلك الشيء الذي وصف الحق تعالى نفسه أنه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الإضافي.

فالجواب: المراد به ما تضمنه علمه القديم من الأعيان الثابتة في العلم الذي هو العدم الإضافي وليس المراد به العدم المحض؛ لأن العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان، ويؤيد هذا قول الشيخ في لواقح الأنوار[٥]في قوله : {**أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ**}[٦] (أي قدير على شيء تضمنه علمه القديم فإن ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشيء)[٧].

وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ في باب التسعين من الفتوحات[٨] : (لا تتعلق قدرة الحق تعالى إلا بشيء موجود في علمه تعالى لقوله تعالى : ﴿**أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ**

---

(١) الفتوحات المكية، ج١/ ٧٩.

(٢) الفتوحات المكية، ج٥/ ٣٥٠: ٣٥٦.

(٣) سورة الطلاق الآية ١٢.

(٤) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٣٢.

(٥) الفتوحات المكية ج١/ ١٥٩: ١٦١.

(٦) سورة الطلاق الآية ١٢

(٧) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٣٣.

(٨) الفتوحات المكية، ج٣/ ٢٥٣: ٢٦٢.

﴿قَدِيرٌ﴾[١]. فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشيء مما لم يتضمنه علمه القديم قال : وإيضاح ذلك أن لا شيء لا يقبل الشيئية إذ لو قبلها ما كانت حقيقة لا شيء ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء أبدا وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء أبدا انتهى)[٢].

وملخص رده: أن علمه تعالى يتعلق بالعدم الإضافي لا العدم المحض لأنه لا شيء لقوله تعالى : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[٣]فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشيء مما لم يتضمنه علمه القديم.

الاعتراض الرابع: فإن قلت: قد قال الشيخ أبو الحسن الأشعري[٤]:إن وجود كل شيء في الخارج عينه وليس بشيء زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية أو ممكنا وهو الخلق، وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين إن وجود الشيء أمر زائد عليه فما الحق من القولين.

فالجواب: كما قاله ابن السبكي[٥] والجلال المحلي: الحق ما قاله الأشعري، وعليه فالمعدوم ليس في الخارج بشيء، ولا ذات، ولا ثابت، أي: لا حقيقة له في الخارج، وإنما يتحقق بوجوده فيه، وقد قال الجلال المحلي: ثم هذا الحكم كذلك عند أكثر أهل القول الآخر أيضًا. قال: وذهب كثير من المعتزلة الجان المعدوم الممكن في الخارج شيء، أي: له حقيقة مقررة، انتهى ما قاله الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع)[٦].

وملخص هذه الشبهة: أنه يفرق بين ماهية الشيء ووجوده، فالأشعري يرى أن ماهية الشيء هي عينه وليس أمرا زائدا عليه سواء أكان واجبا أو ممكنا، خلافا لبعض المتكلمين القائلين: أن وجود الشيء أمر زائد على ماهيته، والحق ما ذهب إليه الأشعري.

الاعتراض الخامس: ما الفرق بين قول الأشاعرة المعتزلة في وجود العالم؟

فإن قلت: (فما الوجه الجامع بين قول الأشعرية إن العالم وجد عن عدم متقدم، وبين قول المعتزلة إنه وجد عن وجود.

---

(١) سورة الطلاق الآية ١٢.

(٢) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٣٣.

(٣) سورة الطلاق الآية ١٢.

(٤) علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري (٢٦٠- ٣٢٤هـ = ٨٧٤- ٩٣٦م). راجع الأعلام، ج٤/ ص: ٢٦٣.

(٥) عبدالوهاب بن علي السبكي (٧٢٧- ٧٧١هـ = ١٣٢٧- ١٣٧٠م). راجع الأعلام، ج٤/ ص: ١٨٤.

(٦) اليواقيت والجواهر، ج ١/ ١٣٣.

فالجواب: أن الوجه الجامع بين قولي الأشعرية والمعتزلة إن العالم حادث في الظهور قديم في العلم الإلهي فمن قال إنه حادث من الوجهين أخطأ أو قديم من الوجهين أخطأ والله أعلم)[١].

وملخص تلك الشبهة: ان الأشعري يذهب إلى أن العالم وجد عن عدم فكان الله تعالى لا شيء معه، بينما يرى المعتزلة أن العالم وجد عن وجود ، والوجه الجامع بينهما أن العالم قديم بالعلم حادث بالوجود.

الاعتراض السادس: هل الحق تعالى الذي خلق الله به السماء والأرض وما بيننهما؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قلت: فما المراد بالحق الذي خلق الله تعالى به السماوات والأرض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة أم لا؟

فالجواب: (كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين وثلاثمائة[٢]: (أن المراد أنه تعالى خلق العالم كله للحق تعالى وهو أن العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك في الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه قال الشيخ : وقد غلط في هذا الحق المخلوق به السماوات والأرض وما بينهما جماعة من أهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق أن الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية تعالى الله عما يشكرون من أجل الباء فمعنى بالحق أي للحق فالباء هنا عن اللام في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[٣]، وإيضاح ذلك: أن الحق تعالى لا يخلق شيئا بشيء وإنما يخلق شيئا عند شيء وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية فهي لام فاعلم ذلك فإنه نفيس لا تجده في تفسير والله تعالى يتولى هداك)[٤].

وملخص تلك الشبهة: أن الله تعالى ما خلق العالم إلا لعبادته فالعالم كله للحق تعالى وهو أن العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك في الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه أي خلقه ليعطيه لا ليأخذ منه.

وانتهى الإمام الشعراني في تلك المسألة إلى نتيجة مؤداها: (في وجوب اعتقاد أن الله تعالى أبدع على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده فإن أحدا منهم لا يقدر بإرادة الله على اختراع شيء إلا أنشأه في نفسه أولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية إلى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل وهذا محال في حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بخلقه أزلا كما مر في المبحث قبله. قال الشيخ محيي الدين: ولا يجوز أن يقال إن الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق تعالى بأنه عالم بها قبل اختراعهم لأن ذلك يؤدي إلى أنه تعالى اخترع شيئا لم يعلمه وقد ثبت بالأدلة

---

(١) اليواقيت والجواهر، ج١/ ١٣٤

(٢) الفتوحات المكية ج٦/ ٩٠.

(٣) سورة غافر الآية ٥٦.

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٣٤ .

أنه عالم بكل شيء أزلا وأبدا فثبت لنا أن اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا في علمه تعالى ولو قدر أنا لم نكن كذلك في علمه لخرجنا للوجود على حد ما لم يعلمه الله تعالى وذلك محال لأن ما لا يعلمه لا يريده وما لا يعلمه ولا يريده لا يوجده فنكون إذن نحن موجودين بأنفسنا أو بحكم الاتفاق وإذا كان وجودنا بأنفسنا أو بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم أي إضافي لا عدم محض كما مر بيانه في المبحث قبله)[١].

والخلاصة: ثبت أنه تعالى عالم بكل شيء أزلا وأبدا، فلا يجوز ان يقال: إنه تعالى اخترع شيئا لم يعلمه، فاخترع العالم على غبر مثال سبق وأخرجه لعالم الشهادة على حد ما علمه، ولو فرض غير ذلك لخرجنا لعالم الشهادة على حد ما لم يعلمه تعالى وذاك محال، فمالا يعلمه لا يرده وبالتالي لا يوجده، فنكون بذلك موجودين بأنفسنا أو بحكم الاتفاق، وإذا كنا كذلك فلا يصح وجودنا عن عدم إضافي لا عن عدم محض، وعليه فهناك تطابق بين تعلق القدرة التنجيزية الحادثة بالعلم القديم، ولا يستفيد الحق تعالى علما جديدا بوجود الأشياء، مستدلا على ما انتهى إليه بكلام أهل الكشف والعرفان فيمن عندهم الوهب الإلهي.

وقد أثير حول مذهبه هذا بعض الإشكالات، ومرجع ذلك إلى أن الشعراني قصر استدلاله على كلام أهل الكشف فقط، ليزيل أن الحق تعالى لم يستفد علما جديدا ببروز المحدثات لعالم الشهادة.

وقد دفع الإمام الشعراني تلك الإشكالات وذلك محور مطلبنا التالي:

المطلب الثالث: إشكاليات حول مذهب الإمام الشعراني

هناك شبهات وإشكالات أثيرت حول رأي الإمام الشعراني في تلك المسألة في جناب الحق القدوس وأسمائه وصفاته من قبل المحجوبين، والجهلة، و الملحدين، فقام بدفعها بجملة من الأجوبة.

يقول الإمام الشعراني: (بيان جملة صالحة من الأجوبة مما يتوهمه الجهلة، أو الملحدون، في جناب الحق القدوس، وأسمائه، وصفاته، مصدرًا ذلك بعقيدة صالحة جامعة مع شدة اختصارها لأمهات عقائد الأكابر من أهل السنة والجماعة؛ ليرجع إليها من استشكل شيئا من الأجوبة الآتية، فإنها مزيلة إن شاء الله تعالى جميع إشكالات المحجوبين، وزاجرة لجميع الملحدين، فأقول وبالله التوفيق)[٢].

الإشكال الأول: بما تميز الحق تعالى عن خلقه ومعلوم غلمه لا يقارقه؟

---

(١) اليواقيت والجواهر ج١/ ١٣٤.

(٢) القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية/ ص: ٣٣.

يقول الإمام الشعراني: (فإن قيل: فإذا كان تعلق علم الحق تعالى بالخلق قديمًا وهم معلوم علمه، ومعلوم العلم لا يفارق العلم، فبما تميز الحق تعالى عن خلقه؟.

فالجواب: أن الحق تعالى تميز عن خلقه بكونه خالقًا، والعالَم كله مخلوقًا فلولا إخراجه تعالى للعالم كله من مكنون علمه إلى هذا الوجود الخاص بنا لما قدر أحد من العالم أن يخرج نفسه من العدم.

وقد ذكر الشيخ محي الدين هذه المسألة في الباب الحادي عشر وأربعمائة[١] وأطال في بيانها ثم قال: (وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم، وما هو المعلوم تابع للعلم، وهى مسألة دقيقة ما في علمي أن أحدًا نبّه عليها من أهل الله تعالى إلا إن كان مما وصل إلينا، وما من أحد إذا تحققها يمكنه أن ينكرها، وفرق بين أن يكون الشيء موجودًا بعد تقدم العلم بوجوده، وبين كونه على هذه الصور حال عدمه الأزلي له؛ إذ لا يعقل بين العلم والمعلوم بون زماني، وما ثم تمييز إلا بالرتبة فقط، وهو أن العالم كله مفعول لله تعالى، والله تعالى هو الفاعل له، قال: ولو لم يكن في كتاب الفتوحات إلا هذه المسألة لكانت كافية لكل ذي نظرا سديد، وعقل سليم)[٢] وأطال في ذلك[٣]، ثم قال في حديث:{إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها}[٤] . اعلم أن الحق تعالى ما كتب إلا ما علم، وما علم إلا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في نفسها ما يتغير منها وما لا يتغير، فهو يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغيراتها فلم يوجدها إلا على صورة ما هي عليه في علمه القديم، وما ثم كتاب يسبق إلا بإضافة الكتاب إلى ما يظهر به ذلك الكتاب الشيء، فتكون الكتابة حاكية صفاته التي هو عليها في الأزل لا غير، فليُلم العبد نفسه، ولا يلم الكتاب الإلهي، ويقول: كيف يؤاخذني الله تعالى على شيء كتبه علي في الأزل قبل أن أُخلق كما يقع فيه بعض الجهلة، ومن فهم ما ذكرناه علم علمًا يقينيًا صحة وصف الحق تعالى بأن له الحجة البالغة لو نوزع تعالى، والحمد لله رب العالمين انتهى[٥])[٦].

الإشكال الثاني: هل الظلم الواقع في الوجود عن غير إرادة منه؟

---

(١) الفتوحات المكية، ج٧/ ٢٢: ٢٤.

(٢) القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية/ ص: ١١١.

(٣) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٣.

(٤) حديث صحيح الإسناد أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ } [الصَّافَّات : ١٧١] برقم (٦٩٠٠) عن عبد الله بن مسعود، وأخرجه مسلم في كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه برقم (٤٧٨١).

(٥) الفتوحات المكية، ج٧/ ٢٣: ٢٤.

(٦) القواعد الكشفية، ص: ١١١: ١١٢.

يقول الإمام الشعراني: (ومما أجبت به من يتوهم من قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[١] أن الظلم الواقع في الوجود عن غير إرادة منه.

والجواب: أن الإرادة لا تتوجه إلا على معدوم لتوجده، وكل شيء في الوجود موجود في علم الحق تعالى فلا يتوجه عليه الإرادة فلا يريده تعالى؛ لأنه عدم وما ثم إلا ظلم نسبي للخلق دون الحق تعالى؛ لأنه عليم حكيم فافهم)[٢].

الإشكال الثالث: هل الحق تعالى له مرتبة يستفيد من خلقه علما لم يكن عنده؟

يقول الإمام الشعراني: (ومما أجبت به من يتوهم أن الحق تعالى له مرتبة يستفيد من خلقه علما لم يكن عنده، كما قد يقع من أهل الفهم السقيم، من نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ [٣]) [٤].

والجواب : أن ذلك فهم لا يجوز اعتقاده؛ لأن الحق تعالى لم يزل عالما بجميع الأشياء، قبل وجودها في عالم الشهادة، ثم إنه أوجدها في عالم الشهادة على حد ما علمها لم يتجدد له علم بها عند تحدد الأشياء كما تقدم في العقيدة أول الباب، ولم تزل الأمور كلها معلومة للحق تعالى في مراتبها بتعداد صورها، هكذا إدراكه تعالى للعالم كله حال عدمه ووجوده، فتنوعت الأعيان في خيال الممكنات، لا في علمها، ثم لما كشف لها عن نفسها وهي في العدم استفادت العلم بما لم يكن عندها حالة لم تكن عليها، فإن الله تعالى ما أوجد الأعيان إلا ليكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيئا بعد شيء على التتالي والتتابع .

واعلم يا أخي أن العلماء قد اضطربت أفهامهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾[٥]؛ وذلك لأن من أشكل العلوم إضافة العلم الإلهي إلى المعلومات، والقدرة إلى المقدورات، والإرادة إلى المرادات، وظاهر ما يقتضي ذلك كون الحق تعالى جعل نفسه يستفيد العلم من المعلومات أشكل، وأشكل عند أهل القصور من الفهم، فما اضطربت أفهام العلماء إلا في تأويل ذلك للقاصرين بما تقبله أفهامهم؛ لأن من أعطاك العلم بنفسه، ولا يعلم هو نفسه، ولا ما يعطيك من العلم لا يكاد العقل يتعقله على ظاهره أبدًا، فإن الحق تعالى لولا أنه أعطى الموجودات العلم بنفسها ما كانت عرفت نفسها.

---

(١) سورة غافر الآية ٣١.

(٢) القواعد الكشفية، ص: ١١٢.

(٣) سورة محمد الآية ٣١.

(٤) القواعد الكشفية ١١٣.

(٥) سورة محمد الآية ٣١.

وأطال الشيخ محيي الدين في الكلام على هذه الآية في الباب الرابع وأربعمائة من "الفتوحات[١]"، ثم قال: وسبب اضطراب عقول العلماء في فهم هذه الآية إنما هو من حيث حدوث التعلق أعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم، والقادر والمريد مثلاً، فإن المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم الإلهي؛ إذ هي معلوم علمه تعالى الذي لا افتتاح له، كما تقدم بسطه في هذه الأجوبة، وأطال في ذلك[٢]، ثم قال: ولما كان الأمر على ما أشرنا إليه، وعثر على ذلك من عثر عليه من المتكلمين، كابن الخطيب[٣] قال بالاسترسال المعبر عنه عند الأشعرية[٤] بحدوث التعلق، فلذلك قال الله تعالى في هذا المقام: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[٥]؛ أي حتى يظهر لكم علمنا بما علمناه من أحوالكم قبل ابتلائكم، فهو تنزل للعقول كآيات الصفات التي يعطي ظاهرها القرب من صفات التشبيه، والله أعلم)[٦].

وقال في موضع آخر[٧]:اعلم أنه ما اضطربت أفهام فحول العلماء في فهم قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[٨] ؛ إلا لاضطراب أفكارهم، حتى إن من بعض القدماء من أنكر تعلق العلم الإلهي بالتفصيل، وذلك لعدم التناهي عنده في ذلك، وغاب عنه أنه تعالى محيط بأن معلوماته لا تتناهى بعد تعلق علمه بها[٩].

كذلك قال الشيخ[١٠]: وأما نحن فقد رفع الكشف عندنا الإشكال في هذه المسألة فألقى في قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات، وما ثم من له القدم وعدم الحدوث إلا ذات الحق تعالى فقط، وهي عين وجوده تعالى، ووجوده تعالى ليس له افتتاح ولا انتهاء؛ لأنه نفى البدء والنهاية من جملة درجاته التي تميز بها عن خلقه . قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾[١١]، ثم لما كانت المعلومات متعلق وجوده تعالى، فتعلق ما لا يتناهى وجودًا بما لا يتناهى معلوما ومقدوراً ومرادا وغير ذلك،

---

(١) الفتوحات المكية ج٧/ ٨: ٩.

(٢) الفتوحات المكية، ج٧/ ٩ .

(٣) محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبدالله ولد عام ٧١٣هـ وتوفي ٧٧٦هـ راجع الأعلام ج٦/ ٢٣٥، والدرر الكامنة ج٣/ ٤٦٩.

(٤) الأشعرية فرقة كلامية وهي أحد جناحي أهل السنة والجماعة تنسب للإمام الأشعري. راجع الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديما وحديثا/ لسعيد مراد/ ١٤٦/ ط ٢/ ١٩٩٩/ الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

(٥) سورة محمد الآية ٣١.

(٦) الفتوحات المكية، ج٧/ ٩ .

(٧) الفتوحات المكية، ج٧/ ٩ .

(٨) سورة محمد الآية ٣١.

(٩) الفتوحات المكية، ج٧/ ٩ .

(١٠) الفتوحات المكية، ج٧/٩ .

(١١) سورة غافر الآية ١٥.

فتفطنوا أيها الإخوان لهذا الأمر الدقيق، ولعله ما طرق سمعكم قبل ذلك، فعلم أن ذات الحق تعالى لا توصف بالدخول في الوجود المتناهي؛ إذ كل ما دخل في الوجود المتناهي متناه، والبارئ جل وعلا هو الوجود الحقيقي، فما هو داخل في هذا الوجود المخلوق؛ لأن وجوده تعالى عين ماهيته بخلاف وجود غيره، وعلى هذا نأخذ المقدورات والمرادات وغيرها)[١].

الإشكال الرابع : هل وصل أحد من العلماء بالله تعالى إلى معرفة سبب بدء العالم؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قيل: هل وصل أحد من العلماء بالله تعالى إلى معرفة سبب بدء العالم؟

فالجواب: قد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع من "الفتوحات"[٢] ما نصه: اعلم أن أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم معرفة بسبب بدء العالم إلا تعلق العلم القديم به لا غير؛ فيكون سبحانه وتعالى علم من العالم ما علم أنه سيكون، وهنا انتهى علمهم، وأما نحن فقد أطلعنا الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب الإلهي، وهو أن الأسماء الإلهية هي المدبرة في أهل حضراتها من جميع العالم، وهي المعبر عنها بالمفاتح الأول التي لا يعلمها إلا هو، ولا أدري أعطى الله تعالى ذلك غيري من الأمة، أو خصني به من بينهم، وكل من تحقق بعلم ذلك علم أن الحجة البالغة لله تعالى عليه، فإن الأسماء ما دبرت في العالم وجوده، وإنما ديرت خروجه من مكنون علم الله تعالى إلى هذا الوجود المشهود لنا لا غير.... انتهى)[٣].

الإشكال الخامس: هل توجد نسبة بين العالم والمعلوم؟

فإن قلت فإذا حضرة العلم على التحقيق في حضرة المعلومات، وهي نسبة بين العالم والمعلوم؟

فالجواب نعم، وهو كذلك، كما ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة من الفتوحات[٤]، فليس للعلم أثر في المعلوم لتأخره عنه عقلا، ونظير ذلك المحال، فإن المجال لا أثر لك فيه من حيث علمك به، فإنه إذا أعطاك العلم بنفسه أعطاك العلم به أنه محال، ومن تحقق بعلم ما قلناه علم أن جميع أعيان الممكنات صدرت عن القول الإلهي كشفاً وشرعا، كما صدر عن القدرة الإلهية كشفا وشرعا وعقلا، وأنها لم تظهر عن العلم الإلهي، وإنما ظهر الممكن في عينه فتعلق به عقلا علم الذات العالمة به ظهوراً لا إيجادا، فلم يتعلق به معدوما ما عندها أبدا، وكذلك من تحقق بعلم ما ذكرناه

---

(١) القواعد الكشفية، ص: ١١٣.

(٢) الفتوحات المكية ، ج١/ ١٥٥ .

(٣) القواعد الكشفية، ص: ١١٥.

(٤) الفتوحات المكية ، ج٧/ ٣٢٧.

فهو العالم بقوله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١]، وليس فوق ما ذكرناه من العلم لمن سوانا من هذه الأمة في اعتقادنا إلا ما هو جهل، فتأمل.

وسمعت سيدي عليا المرصفي[٢] رحمه الله تعالى يقول: (ليس بين علم الحق تعالى وبين معلومه بون يعقل أبدًا من الزمان، فلم يكن بينهما إلا التمير بالرتبة، ولا يصح أن يكون الخلق في رتبة الحق أبدا، كما لا يصح للمعلول أن يكون في رتبة العلة من حيث ما هو معلول فيها، إذ العلم الإلهي يطلب كون المعلوم بذاته، ولابد، ولا يعقل بينهما زمان مقدر، ولا يلزم، كما لا يلزم مساواة المعلول علته في سائر المراتب، وكيف يتصور علم بلا معلوم به .. انتهى)[٣].

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[٤]، ولا يصح من العالم الخبير سبحانه وتعالى أن يستفيد علما من المعلومات، وجعل الله تعالى عن ظاهر ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[٥]من أن معنى ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾[٦]، هو من يُحصِّل العلم بعد الابتلاء لا قبله، بل هو تعالى العالم بجميع ما يكون من العبيد قبل كونه[٧]؛ أي ظهوره، ومن رحمة الله تعالى التنزل لعقول عاده كما يتنزل لعقولهم في آية الاستواء، والنزول إلى سماء الدنيا، ونحو ذلك، مع أن ظاهر ذلك كله ينافي صفات التنزيه التي هو تعالى عليها)[٨].

الإشكال السادس: هل يخبر الله عن نفسه وإلا لم نفهم هذا؟

يقول الإمام الشعراني: (فإن قيل: فإذا يجب الإيمان بما أخبر به تعالى عن نفسه، وإن لم يتعقل ذلك.؟

فالجواب: نعم، يجب الإيمان بذلك، ومن لم يؤمن به فاته من العلم بالله تعالى حظ وافر، وهو على النصف من مقام المعرفة بالله تعالى، فإنه تعالى تعرف إلينا بصفات التنزيه وبصفات التشبيه، ولا سبيل لنا إلى رد صفات التشبيه لورودها في الكتاب والسنة, وقد سئل الشيخ محيي الدين عن قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ

---

(١) سورة النحل الآية ١١٨.

(٢) سيد علي المرصفي الأزهري (ت ١٣٤٩هـ =١٩٣١م). الأعلام،ج٣/ ١٤٧.

(٣) القواعد الكشفية، ص: ١١٦.

(٤) سورة محمد الآية ٣١.

(٥) سورة محمد الآية ٣١.

(٦) سورة الملك الآية ١٤.

(٧) الفتوحات المكية ، ج٤/ ٤٧٩ .

(٨) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٨٨، القواعد الكشفية، ص: ١١٦.

﴿نَعْلَمَ﴾[١] ، وكان السائل له ابن أبي الصيف اليمني الشافعي [٢] في الحرم الشريف المكي، فقال له: من علم الشيء قبل كونه فما علمه من حيث كونه كما علمه قبل كونه، فإن العلم يتغير بتغير المعلوم، ولا يتغير المعلوم بتغير العلم، فكيف الحكم؟ وأطال في ذلك[٣]، ثم قال: هذه مسألة حارت فيها العقول، وما دل عليها منقول، ولكن قد يستفهم العالم تلميذه ليعرفه مقام علمه وأدبه وإيمانه[٤]، وقال في باب الأسرار من الفتوحات[٥]: من أعجب ما في الابتلاء من الفتن قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[٦] وهو العالم بما يكون قبل أن يكون، ولكن، إن من الله تعالى عليك بفهم ذلك فاكتم، وإن سئلت عنه فقل: لا أعلم، فإن من علوم الحقيقة ما هو أحسن ما يُعلم، وأقبح ما يُقال .. انتهى)[٧].

وقال في موضع آخر في هذا الباب[٨]: (لما أخبر الله تعالى عن نفسه بانتقال العلم عليه من الكون بـ﴿حَتَّىٰ﴾ [٩] [مُحَمَّد : ٣١] تعلم سكت العارف بالله تعالى وما تكلم، وتأول عالم النظر لهذا القول حذرًا مما يتوهم، ومرض قلب المشكك وتألم، وسر بذلك العالم بالله، ولكنه يتكتم، وقال كقول الظاهري: الله أعلم. انتهى)[١٠].

فعلم أنه يجب على كل مؤمن الإيمان بذلك على علم الله فيه، وإن عاندت يا أخي في ذلك فتأمل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[١١] ، وبما حكم الحق تعالى على نفسه فأحكم، ولله الحجة البالغة على جميع خلقه حتى إبليس الذي هو الواسطة في الوسوسة لجميع العصاة بالمعاصي، فإنه بلغنا أنه قال: يا رب كيف تريد مني السجود لآدم لم يسبق ذلك في علمك، فقال له الحق جل وعلا: متى علمت أنه لم يسبق في علمي قبل

---

(١) سورة محمد الآية ٣١.

(٢) محمد بن إسماعيل بن على بن أبي الصيف توفي سنة ٦٠٩هـ = ١٢١٣م راجع الأعلام ج٦/ ٣٦،البداية والنهايةج١٣/ ٧٠.

(٣) الفتوحات المكية ج٨/ ٩٠ ، وانظر الفتوحات المكية ج٧/ ٢١٧.

(٤) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠١.

(٥) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠١.

(٦) سورة محمد اية ٣١.

(٧) الفتوحات المكية ج٨/٦٢.

(٨) الفتوحات المكية ج٨/ ١٠١.

(٩) سورة محمد اية ٣١.

(١٠) الفتوحات المكية ج٨/ ٦٩.

(١١) سورة محمد الآية ٣١.

الإباءة أو بعدها فقال: يا رب بل بعدها فقال له الحق جل وعلا وبذلك أخذتك، فتأمل يا أخي في هذا المحل، فإنه يكتب بنور الأحداق، والحمد لله رب العالمين)[١].

(١) القواعد الكشفية، ص: ١١٧.

المبحث الثاني
رأي الإمام الكوراني

في مدى كيفية تطابق تعلق المحدثات بعلم الله تعالى وقدرته

وفيه أربعة مطالب:

- **تمهيد** : **تحديد مشكلة البحث وتحرير محل النزاع كما يرى الإمام الكوراني.**
- **المطلب الأول: تصوير رأي الإمام الكوراني في تلك المسألة.**
- **المطلب الثاني: أدلة الإمام الكوراني على صحة مذهبه في هذه المسألة.**
- **المطلب الثالث: مناقشة الإمام الكوراني للإمام الشعراني في هذه المسألة**

تمهيد

تحديد مشكلة البحث وتحرير محل النزاع عند الإمام الكوراني

من المعلوم أن المحدثات تتعلق بعلمه تعالى تعلق انكشاف وهذا التعلق قديم، كما أنها تتعلق بقدرته تعالى تعلق إيجاد وإعدام فيتوهم منه أنها حادثة؛ وهنا تبرز مشكلتان:

المشكلة الأولى: كلامية: تتعلق بمدى علاقة علمه تعالى بقدرته هل هما متطابقان أم لا ؟

فإذا تطابقا فأيهما يتطابق مع الآخر القدرة مع العلم، أم العلم مع القدرة؟ فإذا تطابقت القدرة مع العلم إذًا لا مشكلة، وهو المطلوب؛ لأن جميع صفاته تكون قديمة وثابتة وقائمة به، وأما إذا تطابق العلم مع القدرة وهي تتعلق بالمحدثات فهو إذًا حادث مثلها كما يتوهم البعض، أما إذا لم يتطابقا فهذا يتوهم منه قدم صفة وحدوث أخرى، وهذا محال في حقه تعالى، فكيف لذات واحدة تتصف بالقدم والحدوث في آن واحد؟ وهذا مخالف لمنهج علماء الكلام من أهل السنة والجماعة والذي يقرر قدم صفاته تعالى؛ إذن ما الحل ؟

المشكلة الثانية: استدلالية وهي: تتعلق بأهم مصادر الاستدلال وهو القرآن الكريم، فهناك آيات يوهم ظاهرها أن المحدثات المتعلقة بقدرته تعالى يستفيد الباري تعالى منها علما. من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾[١] وقوله تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢].

ويفهم من هذه الآيات وغيرها أن الله عالم بكل شيء , ولا يعزب عن علمه شيء، ومن ناحية أخرى يوهم ظاهرها أن الباري تعالى يستفيد علمًا جديدًا من تلك المحدثات؛ وهذا يؤدي لحدوث علمه تعالى وتغيره، وهذا نقص في حقه تعالى؛ لتطابق ما كشفه العلم مع ما أوجدته القدرة فيما لا يزال كما يقرر علماء الكلام من أهل السنة.

يقول الإمام الكوراني في تصوير تلك المشكلة:(فقد سألت أيدك الله تعالى بنوره آمين، عما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني[٣] في كتابه اليواقيت والجواهر في المبحث السادس عشر بعد أن قال: (إن الله عالم بكل شيء, ولا يعزب عن علمه شيء, فإن قلت: فما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[٤]وقوله

---

(١) سورة محمد الآية ٣١.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٣) عبد الوهّاب بن أحمد بن علي المشهور بالشعراني، (٨٩٨ : ٩٧٣ هـ= ١٤٩٣: ١٥٦٥م). راجع الأعلام ج ٤ ص ١٨٠.

(٤) سورة الحديد الآية ٢٥.

تعالى:﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ ﴾[١]ونحوهما من الآيات، فإن ظاهر ذلك يقتضي أن الحق تعالى يستفيد علمًا بوجود المحدثات.

فالجواب: أن هذه مسألة اضطرب في فهمها فحول العلماء، ولا يُزيل إشكالها إلا الكشف الصحيح.

وقد قال (الشيخ)[٢] في الباب الرابع عشر وخمسمائة من الفتوحات المكية[٣]:(اعلم أنه ليس وراء الله مرمى، وما وراءك أيضًا مرمى؛ لأنك معلوم علمه تعالى، وبك كمل الوجود، فهو حسبك، كما إنك حسبه؛ ولهذا كنت آخر موجود وأول مقصود، ولولا عدمك ما كنت مقصودا فصح حدوثك، ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح أن تريد العلم به, فهذ من أعجب ما في الوجود وأشكله علي العقول، كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك، فإن الممكنات أعطت الحق العلم بنفسها، ولا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق؛ فلهذا قلنا : إن الوجود حسبك كما أنك حسبه؛ لأنه الغاية التي إليها تنتهي، وما ثم بعده إلا أنت ومنك علمك وما بقي بعدك إلا المحال وهو العدم المحض انتهى)[٤]. وهذا الموضع ما في الفتوحات أشكل منه وقد نقلته بحروفه؛ ليوضحه علماء الإسلام والله أعلم انتهى[٥])[٦].

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٢) المقصود بالشيخ : محي الدين بن عربي، سبقت ترجمته/ ص ١٢.

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي، ج ٧ / ص ٢٢٦ : ٢٢٧.

(٤) هذا كلام ابن عربي كما جاء في يواقيت الشعراني ج١/١٥٤ ، وأما ما دوّنه ابن عربي في فتوحاته فهو: (أعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذا الذكر يعطي صاحبه أنه هو إذ لا يكتفي إلا به ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " ليس وراء الله مرمى " فما كان من حجاب فما هو إلا بينك وبينه ما هو وراءه فإنه الأول وأنت الآخر وهو قبلتك فلا يكون له منك إلا المواجهة، ثم أرسل بينك وبينه حجب الأسباب والنسب والعادات وجعلها صورًا له من حيث لا تشعر فمن قال هي هو صدق، ومن قال ما هي هو فللاختلاف الذي يراه فيها فيصدق فإنه يحجبه عن العلم به اختلاف الصور، فكما يقطع أن هذه الصورة ليست هذه الصورة أي هذا السبب ما هو هذا السبب يقطع أنها ما هي هو، وذهل عن حقيقة الحجاب أو كونها ، وإن اختلفت فهي واحدة في السببية أو الحجابية كذلك هي عينه وإن اختلفت وإن لم يكن الأمر هكذا وإلا فلا تصح المواجهة، ألا ترى الأعمى إذا واجهته وكافحته لا يقدح عماه وكونه لا يراك وأنت تراه عن حكم المواجهة بينكما مع كون الأعمى يرى الظلمة بلا شك وأنت عنده في عين تلك الظلمة التي يراها فيدركك ظلمة لأنه يواجهك فيقول: رأيت فلانا اليوم مواجهة ويصدق مع كونه أعمى، فما وراء الله مرمى وما وراءك له مرمى، لأن الصورة الإلهية بك كملت وفيك شهدت فهو حسبك كما أنت حسبه ، ولهذا كنت أخر موجود وأول مقصود، ولو لا ما كنت معدومًا ما كنت مقصودا فصح حدوثك ، ولو لا ما كان علمك به معدومًا ما صح أن تريد العلم به ، فهذا من أعجب ما في الوجود أن يكون من أعطك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك ؛ لأن الممكنات أعطت العلم بأنفسها الحق ولا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق ، فلهذا كان حسبك ؛ لأنه الغاية التي إليها تنتهي وأنت حسبه لأنه ما ثم بعده إلا أنت ومنك علمك وما هي إلا المحال وهو عين العدم المحض الذي التبست بظله كما التبست بضوء الوجود النور فقابلت الطرفين بذاتك .... ألخ) الفتوحات المكية لابن عربي، ج ٧ / ص ٢٢٦ : ٢٢٧.

(٥) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبدالوهاب الشعراني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج١/ ص: ١٥٠-١٥٤.

(٦) المسلك القويم في مطابقة تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم مخطوطة للإمام الكوراني، وهو من محفوظات المكتبة الأزهرية، في علم التوحيد، تحت رقم خصوصي ٣٩٨٨: وعمومي: ٤١٩٧٦ أو ٤١٦٩٥، علم الكلام، اللوحة الأولى.

إذن فمشكلة بحثنا تنحصر في أن الباري تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات، وهو ما يرفضه الإمام الكوراني؛ لتعارضه مع ما صح وثبت من آيات تدل على أن الباري تعالى لا يعزب عن علمه ما كان وما هو كائن وما سيكون لو كان كيف يكون – كما سيأتي عند تصوير رأيه في المطلب التالي:

المطلب الأول: تصوير رأي الإمام الكوراني في تلك المسألة

بداية لابد أن نشير إلى أن الإمام الكوراني انطلق في تلك المسألة من خلال تساؤل وجه إليه عما ذكره الشيخ الشعراني عند جوابه لتساؤل من أن الباري تعالى يستفيد علمًا بوجود المحدثات مستدلا بظاهر بعض الآيات كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾[١].

وعند جواب الإمام الكوراني على هذا التساؤل حرر كلام الشعراني من خلال ما ذكره في كتابه اليواقيت والجواهر، وهذا ما نقله الإمام الكوراني عنه.

يقول الإمام الكوراني رأيه فيقول:(وطلبت تحريره إنجازًا للوعد بذلك، فأقول وبالله التوفيق: أما الجواب عن السؤال الذى أورده الشيخ الشعراني نفع الله به فهو أن علم الله تعالى له : تعلقات أزلية بماهيات الممكنات التي هي المعدومات الثابتة في نفس الأمر المستعدة بالاستعدادات الذاتية لما هي عليه فيما لا يزال وبصورها الحادثة المنكشفة به تعالى في مرايا ماهياتها أزلا بمقتضى استعداداتها الذاتية مع كونها معدومة في الأزل. وتعلقات حادثة تابعة لوجود الحوادث، وهذه التعلقات الحادثة معلومة بالتعلقات الأزلية، فهي تكشف الحوادث بعد وجودها على طبق ما كشفتها التعلقات الأزلية قبل وجودها؛ وذلك لإقامة الحجة على العباد في المجازاة لا لمجرد الانكشاف)[٢].

والذي يمكن استنباطه مما ذكره الشعراني اعترافه بصعوبة تلك المسألة، وبأنها تخفى على فحول العلماء؛ لذا فهي تحتاج للكشف الصحيح، وهذا ما دفعه لنقل كلام ابن عربي في حل تلك المسألة من وجهة نظر الشيخ الشعراني.

والذي يمكننا ملاحظته على جواب الشيخ الشعراني :

١. اعترافه أن تلك المسألة عصية على فحول العلماء.
٢. حاجة تلك المسألة للكشف وليس النظر.
٣. استدلال الشيخ الشعراني بكلام ابن عربي استدلالا في غير محله.
٤. إن الحق تعالى لا يستفيد علما بوجود المحدثات.

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٢) المسلك القويم في مطابقة تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم، للإمام الكوراني، اللوحة الثانية.

وتلك الغيوم التي أحاطت بتلك المسألة من وجهة نظر الإمام الشعراني، يحاول الإمام الكوراني إزالتها إراحة للأفهام وإزالة للأوهام، فقال: علم الله تعالى لا يستفيد من وجود المحدثات؛ فعلمه تعالى له تعلقان:

أ ـ تعلق أزلي بماهيات المحدثات التي هي الممكنات، وهذه الممكنات لها مظاهر في هذا التعلق، من حيث كونها: معدومات في الأزل، ثابتة في نفس الأمر، مستعدة بذاتها، حادثة، منكشفة بصورها الحادثة أزلا به تعالى مع كونها حادثة فيما لا يزال.

ب ـ تعلق حادث تابع لوجود المحدثات وهذ التعلق بتلك المحدثات له مظاهر منها: أن تلك التعلقات الحادثة معلومة بالتعلقات الأزلية وليس العكس، كما أنها جاءت مطابقة لما كشفته التعلقات الأزلية قبل وجودها.

ويعلل ذلك الإمام الكوراني أن تلك الموجودات الحادثة ليس لكون الباري يستفيد منها علمًا، بل لإقامة الحجة على العباد يوم القيامة، فهي للعباد وليس لله، فهو تعالى علمها قبل وجودها، فكيف يستفيد منها علما! وقد اتُّفِقَ على أن علمه تعالى حضوري، يعنى دفعة آنية، وليس حصوليًا، أي متعاقبًا على مراحل.

ويصور الإمام الكوراني ما ذهب إليه في تلك المسألة فيقول: (أما الجواب عن السؤال الذى أورده الشيخ الشعراني نفع الله به، فهو أن علم الله تعالى له :

تعلقات أزلية بماهيات الممكنات التي هي المعدمات الثابتة في نفس الأمر، المستعدة بالاستعدادات الذاتية لما هي عليه فيما لا يزال، وبصورها الحادثة المنكشفة به تعالى في مرايا ماهياتها أزلا بمقتضى استعداداتها الذاتية، مع كونها معدومة في الأزل.

وتعلقات حادثة تابعة لوجود الحوادث، وهذه التعلقات الحادثة معلومة بالمتعلقات الأزلية، فهي تكشف الحوادث بعد وجودها على طبق ما كشفتها التعلقات الأزلية قبل وجودها؛ وذلك لإقامة الحجة على العباد في المجازاة لا لمجرد الانكشاف)[١].

إذن الباري تعالى لا يستفيد علمًا بوجود المحدثات؛ لأنها معلومة بالتعلقات الأزلية، وجاءت مطابقة لتلك التعلقات الأزلية فيما لا يزال، وعلمه تعالى حضوري لا حصولي، فكيف يكون من أعطاها العلم يتوقف علمه عليها !؟ وقد ذكر أدلة متنوعة على صحة مذهبه وهذه الأدلة جاءت كما يأتي:

المطلب الثاني:أدلة الإمام الكوراني على صحة ما ذهب إليه في تلك المسألة

ذكر الإمام الكوراني أدلته متنوعة على صحة مذهبه السابق بكلام أهل التفسير، وعلماء الكلام، واللغويين، وأهل الكشف والعرفان، بخلاف الشعراني الذي قصرها على أهل الكشف، فجاءت كالتالي:

---

(١) المسلك القويم اللوحة الثانية.

استشهد الإمام الكوراني بكلام الإمام البيضاوي[١] عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾[٢]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا)[٣].

ووجه استدلال الإمام الكوراني بكلام الإمام البيضاوي أن الباري تعالى لا يستفيد علمًا بوجود المحدثات سواء في الحال أو الاستقبال؛ لأنها متعلقة كشفًا بعلمه تعالى في الأزل ، فتلك الحوادث في حال عدمها ووجودها متطابقة أزلًا وأبدًا بغير زيادة أو نقصان ، فكيف يستفيد منها من أعطاها العلم بنفسها والوجود؟

يقول الإمام الكوراني:(قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾[٤]ليتعلق علمنا تعلقًا حاليًا مطابقًا لتعلقه أولًا تعلقًا استقباليًا. انتهى)[٥].

وقال الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة[٦]في قوله تعالى:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [٧]، فجعل الابتلاء سبب حصول هذا العلم، وما هو سبب حصول العلم، وإنما هو سبب إقامة الحجة؛ حتى لا يكون للمحجوج حجة يدفع بها[٨] ، وهو صريح في أنه تعالي مع كونه علم الأشياء أزلًا في ثبوتها بالتعلقات الأزلية لعلمه تعالى، فهذه التعلقات الحادثة تابعة لوجود الحوادث لا لمجرد الانكشاف؛ لأن الحوادث قد انكشفت لله تعالي بالتعلقات الأزلية؛ بل لإقامة الحجة في المجازاة, كما قال البيضاوي في قوله

---

(١) هو العلامة المفسر قاضي القضاة، ناصر الدين، أبو الخير، عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي، وهذه النسبة إلى بيضاء وهي بلدة من بلاد فارس. وتُوفِّي بمدينة تبريز سنة (٦٨٥هـ) الموافق (١٢٨٦م). راجع الأعلام، ج ٤ / ١١٠ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير الإمام البيضاوي، ج ٣، ص ٢٧٤ ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي / طبعة دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان– الطبعة الأولى.

(٤) سورة الكهف الآية ١٢.

(٥) تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٣٨٨ / ط تركيا لعام ١٣٢٨هـ ، وطبعة أخرى للحلبي الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ ، وهذا النص موجود في جلاء الفهوم في شيئية المعدوم للإمام الكوراني ص٦٦٠ رسالة ماجستير لي كلية أصول الدين بالقاهرة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٦) الفتوحات المكية ج ٥/ ص ١٩٩.

(٧) سورة محمد الآية ٣١.

(٨) وقد ذكر الكوراني هذا النص على هامش مخطوطه وليس في صلبه، اللوحة الثانية.

تعالي: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[١]ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودًا)[٢] .

قال الجلال السيوطي[٣] في حاشيته[٤] علي أنورا التنزيل[٥] قال:(الزجاج[٦] المعني: ليقع ما علمناه غيبا مشاهدا للناس ولم يقع منكم، وإنما يقع المجازاة علي ما علمه الله تعالي من الخلق وقوعا لا على مالم يقع)[٧] ، وقال الزجاج أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾[٨](أي: ليختبره بأعمالكم؛ لأنه قد علمه غيبا فعلمه شهادة؛ لأن المجازاة تقع علي ما علم مشاهدة أعني ما وقع من عامله لا على ما هو معلوم منهم انتهى)[٩] .

وينتهي الإمام الكوراني إلى نتيجة مؤداها:(وإذا كان التعلق الحادث التابع لوجود الحادث لإقامة الحجة في المجازاة لا لتوقف الانكشاف عليه زال الإشكال وبالله التوفيق)[١٠] .

ثم كون الأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال معلومة لله أزلا هذا ثابت عند المتكلمين أيضًا.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٠.

(٢) تفسير البيضاوي ص/ ٩٠.

(٣) جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن مُحمَّد الخضيري السُّيُوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ = ١٤٤٥ – ١٥٠٥ م). راجع شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٨/ ص ٥١، ط دار الفكر . وانظر الأعلام ج ٣/ ص ٣٠١.

(٤) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار موجود في المكتبة الأزهرية تحت رقم ١٧٦، ميكروفلم ٢٩٦٧ الفن تفسير بخط محمد حسن تريكي والنص موجود في ج١/ لوحة ٣٣٧. والمسلك القويم، اللوحة الثانية. وانظر جلاء الفهوم النص موجود بنصه وفصه، ص: ٦٥٩.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي أبي الخير البيضاوي /ص٩٠.

(٦) إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي (٢٤١ هـ – ٣١١ هـ /٨٥٥ – ٩٢٣م) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ١١/ ص ١٤٨ ط دار الفكر العربي ، وانظر الأعلام ج ١/ ص ٤٠.

(٧) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار موجود في المكتبة الأزهرية تحت رقم ١٧٦، ميكروفلم ٢٩٦٧ الفن تفسير بخط محمد حسن تريكي والنص موجود في ج١/ لوحة ٣٣٧. والمسلك القويم، اللوحة الثانية. وانظر جلاء الفهوم النص موجود بنصه وفصه، ص: ٦٥٩.

(٨) سورة آل عمران الآية ١٥٤.

(٩) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ج١/ لوحة ٣٣٧. والمسلك القويم، اللوحة الثانية. وانظر جلاء الفهوم النص موجود بنصه وفصه ص ٦٦٠.

(١٠) المسلك القويم، اللوحة الثانية.

قال السيد[١] قدس سره في شرح قول صاحب المواقف[٢] :("العلم تبع للوقوع" أي العلم بوقوع شيء في وقت معين تابع لكونه بحيث يقع فيه)[٣] .

وهو دليل على أن الممكن معدوم أزلا متميز في نفسه، ثابت في نفس الأمر، مستعد لما هو عليه فيما لا يزال؛ لأن مالا تميز له في نفسه هو اللاشيء المحض، وهو الممتنع لذاته، ولا شيء من الممتنع لذاته يصح أن يقال فيه : إنه بحيث يقع في وقت معين؛ وإلا لكان ممكنا.

يوضحه ما قاله السيد قدس سره في شرح المواقف: (قضاء الله عند الأشاعرة: إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال. انتهي)[٤] .

وانتهى الإمام الكوراني إلى نتيجة فحواها: (فإن هذا قول: بأن الأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، منكشفة لله تعالى أزلا؛ وإلا لما تعلقت به الإرادة الأزلية؛ لأن تعلق الإرادة تابع لتعلق العلم، إذ لا يراد ما لا يعلم بالضرورة، والعلم تابع للمعلوم كاشف له على ما هو عليه في نفسه، والمعدوم المحقق أي ما فرض ماصدقا لهذا المفهوم على تقدير اتصافه بالعنوان لا يصح أن يتعلق به العلم ؛ إذ كل ما يصح أن يتعلق به العلم فهو متميز في نفسه بالضرورة ، ولا شيء من المعدوم المطلق بالمعنى المذكور بمتميز في نفسه، فالممكنات المعدومة أزلا متميزة في أنفسها مستعدة بالاستعدادات الذاتية لما هي عليه فيما لا يزال، وذلك كاف لصحة وقوعها أطرافا للإضافات الأزلية، فقد قال في شرح المواقف: (الإضافة تتوقف على : الامتياز الذي لا يتوقف على وجود المتمايزين لا في الخارج، ولا في الذهن انتهى)[٥] .

والمراد بنفس الأمر: علمه تعالى باعتبار أنه ليس غير الذات، فإن لعلمه تعالى اعتبارين :

أحدهما: أنه ليس غير الذات، وبهذا الاعتبار يكون الممكنات المعدومة المتميزة في أنفسها ثابتة فيه.

والثاني : أنه ليس عين الذات، وبهذا الاعتبار يتعلق بالأشياء لا بالاعتبار الأول؛ لأن التعلق إضافة تقتضي طرفين متمايزين ولا تمايز عند اعتباره عين الذات.

---

(١) الشريف الجُرجاني (٧٤٠- ٨١٦ هـ / ١٣٣٩ -١٤١٣ م) هو علي بن محمد بن علي الشريف الحسني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف. راجع الضوء اللامع ج٥/ ٣٢٨، وانظر دائرة المعارف الإسلامية ج٦/ ص٣٣٣، وراجع الأعلام ج ٥/ ص٧.

(٢) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦هـ = ١٣٥٥م) راجع الأعلام ج ٣/ ص ٢٩٥، وأنظر هدية العارفين للبغدادي ج١/ ٥٢٧.

(٣) شرح المواقف ج ٨ / ص ٩٤: ٩٥. ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ = ١٩٩٨. وانظر جلاء الفهوم، ص ٦٣٧.

(٤) شرح المواقف ج ٨ ص ٢٠٠: ٢٠١ جلاء الفهوم ص ٦٦٨

(٥) المسلك القويم، اللوحة الثالثة. وانظر: شرح المواقف ج ٨ ص ٢٠٠: ٢٠١، وجلاء الفهوم ص ٦٦٨.

وإذا ثبت أن لعلمه تعالى عند أهل النظر تعلقين تعلقا أزليًا، وتعلقًا حادثًا تابعًا لوجود الحادث؛ لإقامة الحجة في المجازاة لا لمجرد الانكشاف؛ ظهر أن الإشكال في السؤال الذي أورده الشيخ الشعراني يزول بما قرره أهل النظر، ولا يتوقف على الكشف)[١].

المطلب الثالث: مناقشة الإمام الكوراني للإمام الشعراني في هذه المسألة

وتتضمن تلك المناقشة تحرير محل النزاع الذي دار بين الإمام الكوراني والإمام الشعراني كالتالي:

١ـ النصوص التي نقلها الشعراني عن ابن عربي ليست جوابا للإشكال الذى أورده.

وبعد النقول التي أوردها الإمام الكوراني عن أهل النظر ظهر أن الإشكال في السؤال الذي أورده الشيخ الشعراني لا يزول بما نقله عن أهل الكشف؛ بل يزول بما قرره أهل النظر كما مر تقريره؛ فثبت أن تلك المسألة لا تتوقف على أهل الكشف وحدهم كما يقول الإمام الشعراني، بل لأهل النظر رأي فيها كما قرره الإمام الكوراني، كما أن لأهل الكشف أيضا رأي فيها ولكن ليس بما نقله الإمام الشعراني؛ في أن علمه تعالى لا يستفيد بوجود المحدثات وكاشف لها في الأزل؛ وأيضا ليس فيه أن للعلم تعلقين أزلي وحادث، وأن الحادث معلوم بالتعلق الأول.

يقول الإمام الكوراني:(وأما ما نقله الشعراني عن الشيخ نفع الله به في الباب الرابع عشر وخمسمائة[٢] فليس فيه جواب الإشكال الذي أورده، أو ليس فيه أنّ لعلمه تعالى تعلقين أزليًا، وحادثًا وأن الحادث معلوم بالتعلق الأول[٣] وإنما الجواب يستفد مما مر نقله عن الشيخ نفع الله به في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة[٤] كما مر تقريره[٥].

٢ـ الممكنات لا تعطي الإفادة لله تعالى حين كونها معدومة أو موجودة.

ما فهمه الإمام الشعراني من قول ابن عربي[٦]:(أن الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها) لم يرتضيه الإمام الكوراني؛ لأن الممكنات لا تعطي الحق تعالى العلم بأنفسها؛ لأنها معدومة بالاتفاق ولا إفادة للمعدوم، وكيف لها ذلك وهي ما شمت رائحة الوجود ومحتاجة لله ليعطيها الوجود والعلم، وعليه فالحق تعالى لا يستفد علما من الممكنات لا عدما ولا وجودا.

---

(١) المسلك القويم في مطابقة تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم، اللوحة الثالثة.

(٢) الفتوحات المكية، ج ٧/ ٢٢٦: ٢٢٧.

(٣) المسلك القويم، اللوحة الثالثة.

(٤) الفتوحات المكية، ج٧/٣٢٥ : ٣٢٧.

(٥) المسلك القويم، اللوحة الثالثة.

(٦) الفتوحات المكية، ج ٧/ ٢٢٧.

يقول الإمام الكوراني: (وأما قوله في الباب الرابع عشر وخمسمائة[١]: (أن الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها فليس معناه أنها أفادت الحق تعالى العلم بأنفسها؛ لأن الممكنات معدومة أزلًا اتفاقًا، ولا إفادة للمعدوم؛ لكونها فرع الوجود، ثم إذا أوجدت لا يصح منها الإفادة أيضًا؛ لتصريحه بأنها لا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق تعالى، فلا علم للممكن إلا بالله، وما كان بالله فهو ذاتي لله مجعول للممكن، فلا يصح منه الإفادة لله تعالى حين كونه معدوما ولا حين كونه موجودا)[٢] .

٣ـ تعلق العلم الإلهي بالعالم أزلا مطابق لما هو عليه فيما لا يزال، فمستقبل الممكنات ماض عند الله.

تعلق علم الله تعالى بالعالم أزلا وأبدا تعلق انكشاف، وليس تعلق إفادة؛ لأن العلم تابع للمعلوم .

يقول الإمام الكوراني:(قال الشيخ نفع الله به في الباب الثاني عشر وثلاثمائة[٣]:وتعلق علمه تعالى بالعالم أزلا على ما يكون العالم عليه أبدا مما ليس حاله الوجود لا يزيد الحق به علما، ولا يستفيد، ولا رؤية، تعالى الله عن الزيادة في نفسه والاستفادة. انتهى)[٤] بل معناه : أن العلم تابع للمعلوم الذي هو المعدوم المتميز الثابت في نفس الأمر، كما صرح به في مواضع من الفتوحات منها ما سيجيئ، ومعنى كونه تابعا للمعلوم: هو أنه يكشفه على ما هو عليه في نفسه من مقتضيات استعداده الذاتي فإن العلم لا يكشف من المعلوم إلا ما هو المعلوم عليه في نفسه)[٥] .

ينقل الإمام الكوراني نصا آخر عن ابن عربي يشير فيه إلى أن أعيان الممكنات في حال عدمها يراها الحق تعالى فيعين منها ما يعين بالتكوين دون غيرها من غير زيادة ولا نقصان.

يقول الإمام الكوراني: (قال الشيخ نفع الله به في الباب الثالث والستين وأربعمائة[٦]: (أعيان الممكنات في حال عدمها كما يشهدها الحق تعالى؛ ولهذا يعين الحق منها ما يعين بالتكوين دون غيرها من الممكنات، فإن الحق لا يوجدها إلا بما هي عليه في حال عدمها من غير زيادة ولا نقصان انتهى)[٧] .

وينقل الإمام الكوراني نصا آخر في ذات المعنى من أن الممكنات معلومة لله؛ لأنها متميزة في ذاتها في حال عدمها.

---

(١) الفتوحات المكية، ج٧/ ٢٢٧.

(٢) المسلك القويم، اللوحة الثالثة.

(٣)الفتوحات المكية، ج٥/٧٠

(٤) الفتوحات المكية ج٥/ ٧٠.

(٥) المسلك القويم، اللوحة الثالثة.

(٦) الفتوحات المكية ج٧/ ص: ١٢٢.

(٧) المسلك القويم، اللوحة الثالثة.

يقول الإمام الكوراني: (وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة[١]:(الممكنات متميزة في ذاتها في حال عدمها، ويعلمها الله سبحانه كماهي عليه في أنفسها ويراها[٢].

وينقل الإمام الكوراني نصوصا أخرى في ذات المعنى مفادها: أن الحجة البالغة لله على عباده جاءت من كون العلم تابع للمعلوم على ما هو عليه في نفسه، وهذا يقتضي التسليم والتفويض بالقضاء والقدر، وأن علمه تعالى كاشف للممكنات في جميع أحوالها ولا يستفد منها علما جديدا.

يقول الإمام الكوراني حاكيا عن ابن عربي: (وقال في الباب الأحد عشر وأربعمائة[٣]: واعلم أن الله تعالى ما كتب إلا ما علم، ولا علم إلا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها ما يتغير منها وما لا يتغير، فيشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغييراتها إلى ما لا يتناهى، فلا يوجدها إلا كما هي عليه في نفسها .... إلى أن قال : فإذا رجع العبد على نفسه ونظر في الأمر كما ذكرناه، علم أن محجوج، وأن الحجة لله تعالى عليه، أما سمعته تعالى يقول: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٤] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ [٥]وقال: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٦]كما قال: ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٧]يعني أنفسهم، فإنهم ما ظهروا لنا حتى علمناهم وهم معدومون إلا بما ظهروا به في الوجود من الأحوال، العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم فافهمه، وهذه مسألة عظيمة دقيقة ما في علمي أن أحدا نبه عليها إلا إن كان وما وصل إلينا، وما من أحد إذا تحققها يمكن له إنكارها، وفرق يا أخي بين كون الشيء موجودًا فيتقدم العلم وجوده، وبين كونه على هذه الصور في حال عدمه الأزلي له، فهو مساوق للعلم الإلهي به ومتقدم عليه بالرتبة؛ لأنه لذاته أعطاه العلم به، فاعلم ما الكتاب إلا هذه المسألة لكانت كافية لكل صاحب نظر سديد وعقل سليم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى ذكرناه فإنه ينفعك ويقويك في باب التسليم والتفويض للقضاء والقدر الذي قضاه حالك، ولو لم يكن في)[٨] .

---

(١) الفتوحات المكية ج٦/ ص: ٢٣٣.

(٢) المسلك القويم، اللوحة الثالثة.

(٣) الفتوحات المكية ج٧/ ص: ٢٣: ٢٤.

(٤)سورة النحل الآية ٣٣.

(٥) سورة النحل الآية ١١٨.

(٦) سورة النحل الآية ٣٣.

(٧) سورة الزخرف ٧٦.

(٨) المسلك القويم اللوحة الرابعة.

ويقول الإمام الكوراني حاكيا عن ابن عربي:(وقال في الباب الموفي ستين وخمسمائة بعد وصية[١]: فلا تجعل الحق خصمك، فإن لله الحجة البالغة كما ذكر عن نفسه وبكل وجه، أشهدني الله حجته على خلقه كيف تقوم، وذلك في أن العلم يتبع المعلوم إن فهمت فأكثر من هذا التصريح ما يكون انتهى)[٢] .

وأيضا يقول الإمام الكوراني حاكيا عن ابن عربي:(وقال في الباب السابع والخمسين وأربعمائة[٣]: وعندنا ما كانت الحجة البالغة لله على عباده إلا من كون العلم تابعا للمعلوم ما هو حاكم على المعلوم، فإن قال المعلوم شيئا كان لله الحجة البالغة عليه بأن يقول له: ما علمت هذا منك إلا بكونك عليه في حال عدمك وما أبرزتك في الوجود إلا على قدر ما أعطيتني من ذاتك بقبولك فيعرف العبد أنه الحق فندحض حجة الخلق في موقف العرفان الإلهي الخاص)[٤] .

وأيضا يقول الإمام الكوراني حاكيا عن ابن عربي:(وقال في الباب الموفي ستين وخمسمائة[٥]: ما ظهر حكم في موجود إلا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله منه فلله الحجة البالغة على كل أحد مهما وقع نزاع ومحاجة)[٦] .

وأيضا يقول الإمام الكوراني حاكيا عن ابن عربي: (وقال في الباب الثالث والستون وأربعمائة[٧]: (وما علم إلا ما أعطاه المعلوم من نفسه إنه عليه بما شاهده أزلا في عينه الثابتة في حال عدمه)[٨] .

والذي يمكن استنتاجه من هذه النصوص: أن الله تعالى عالم بالأشياء معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها؛ لأن علمه سبق الكتاب وهو سابق للحقيقة، على ما شهده الحق في حال عدمه، والكتاب سبق وجود ذلك الشيء، ويعلم ذلك من علم الكوائن قبل تكوينها فهي له مشهودة في حال عدمها ولا وجود لها، فمن المحال أن يتعلق العلم إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه، فلو احتج أحد على الله بأن يقول له: علمك سبق في بأن أكون على كذا فلم تؤاخذني؟ يقول له الحق: هل علمتك إلا بما أنت عليه؟ فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال: " حتى نعلم" فارجع إلى نفسك، فإذا رجع العبد إلى نفسه ونظر في الأمر كما ذكرناه، علم أنه

---

(١) الفتوحات المكية، ج٨/ ص٢٧٧.

(٢) المسلك القويم، اللوحة الرابعة.

(٣) الفتوحات المكية، ج٧/ص١٠٥.

(٤) المسلك القويم، اللوحة الرابعة.

(٥) الفتوحات المكية، ج٨/ص٢٤٠.

(٦) المسلك القويم، اللوحة الرابعة.

(٧) الفتوحات المكية، ج٧/ص١٢٥.

(٨) المسلك القويم، اللوحة الرابعة.

محجوج، وأن الحجة لله تعالى عليه، أما سمعته تعالى يقول: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾[١]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ [٢]وقال: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣].

٤ـ عدم تحري الشعراني النقل عن ابن عربي.

ذكر الإمام الكوراني أن الإمام الشعراني عندما استشهد بكلام ابن عربي لم يتحر الدقة في نقله فاعتبر نقل في غير موضعه؛ لأنه أضاف لابن عربي كلاما ليس له، وسيظهر ذلك من خلال النصوص الأتية:

يقول الإمام الكوراني:(ثم قول الشعراني رحمه الله تعالى:(أنه ليس وراء الله مرمى، وما وراءك أيضا مرمى؛ لأنك معلوم علمه، وبك كمل الوجود، فهو حسبك كما أنك حسبه ..الخ)[٤] ، ليس كله بعبارة الشيخ نفع الله به، فإن قوله:(لأنك معلوم علمه)، ليس لفظ الشيخ، فإنه بعد أن قال:(ليس وراء الله مرمى) قال: (فما كان من حجاب فما هو إلا بينك وبينه ما هو وراءه، فإنه الأول، وأنت الأخر)[٥]، وساق الكلام إلى أن قال:(فما وراء الله مرمى، وما وراءك له مرمى؛ لأن الصورة الإلهية بك كملت، وفيك شهدت، فهو حسبك،كما أنت حسبه؛ولهذا كنت آخر موجود،وأول مقصود[٦].. الخ)[٧].

أما أنه(ليس وراء الله مرمى)[٨] فلأنه الأول، وليس قبله شيء، وليس وراءه شيء[٩]؛ ولهذا قال:(لأنه الغاية التي إليها تنتهي)[١٠] .

وأما أنه:(ليس وراءك مرمى له تعالى) فلأن الإنسان الكامل آخر مراتب التنزلات للوجود[١١]؛ ولهذا قال بعد:(وما بقي بعدك إلا المحال وهو عين العدم المحض الذي التبست بظله كما التبست بضوء الوجود النور فقابلت بين الطرفين بذاتك، فإن نسب

---

(١) سورة النحل الآية ٣٣.

(٢) سورة النحل الآية ١١٨.

(٣) سورة النحل الآية ١١٨.

(٤) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ج١/ ص ١٥٣ : ١٥٤.

(٥) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٦) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧. تكملة النص: (ولولا ما كنت معدوما ما كنت مقصودا، فصح حدوثك، ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح أن تريد العلم به، فهذا من أعجب ما في الوجود أن يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك؛ لأن الممكنات أعطت العلم بأنفسها الحق، ولا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق، فلهذا كان حسبك؛ لأنه الغاية التي إليها تنتهي، وأنت حسبه؛ لأنه ما ثم بعده إلا أنت، ومنك علمك، وما هي المحال، وهو عين العدم المحض الذي التبست بظله، كما التبست بضوء الوجود النور) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٧) المسلك القويم، اللوحة الرابعة.

(٨) الفتوحات المكية ج٧/ ٢٢٦.

(٩) المسلك القويم اللوحة الرابعة.

(١٠) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(١١) المسلك القويم اللوحة الرابعة.

إليك العدم لم يستحل عليك هذه النسبة لظلمته عليك، وإن نسب إليك الوجود لم يستحل لضوئه فيك الذي به ظهرت لك[١] إلى أن قال:(فأنت جامع الطرفين ومظهر الصورتين وحامل الحكمين)[٢] إلى أن قال:(فقال: أي الوجود أنك على صورته فإنه رأى فيك نوره فعلمك بك لنوره وجهلك العدم المطلق لظله وأنت المعلوم المجهول صورة الحق سواء. الخ [٣])[٤].

فقول الشيخ الشعراني بعد قوله:(ما وراءك مرمى؛ لأنك معلوم علمه)[٥] ليس عبارة وافية بمقصود الشيخ نفع الله به؛ لأن الكائنات التي هي قبل الإنسان: كالقلم، واللوح، والعرش، والكرسي، والسموات، والأرض، كلها معلومات علمه تعالى، لكنها لما لم يكن شيء منها آخر مراتب التنزلات، لم يصدق على شيء منها أنه ليس وراءه مرمى له تعالى، إنما يصدق على ما هو المنتهى للتنزل، والمنتهى هو الإنسان الكامل ، فهو الأخر المظهر للأول جامع الطرفين وبالله التوفيق[٦] .

ثم إن قول: الشيخ نفع الله به: (ولو لا ما كنت معدوما ما كنت مقصودا)[٧] ،أي ولولا ما كنت معدوما من حيث صورتك الخاصة التي يقتضيها استعداد ماهياتك ما كنت مقصودا؛ لأن إرادة الإيجاد لا تتعلق إلا بما كان معدوما حين الإرادة؛ لاستحالة تحصيل الحاصل فصح حدوثك من حيث صورتك الخاصة، ولولا ما كان علمك به معدوما، كان تامة ، وما مصدرية ، أي ولولا وجود علمك به حال كونك معدوما بصورتك الخاصة، وإنما وجد علمك به مع كونك معدوما بصورتك الخاصة، والعلم لا يقوم إلا بموجود؛ لكونك موجودا بعين وجود العماء الذي فتح الله فيه صورة كل ما عداه؛ لاندماج صورتك الخاصة الحادثة فيها ما صح أن تريد العلم به بعد حدوثك إذ لا يظهر في الموجود إلا ما كان في الثبوت[٨].

٥ـ الإشكال يتوهم للمنافاة بين الاستقلال في العدم وعدم الاستقلال في الوجود.

يوضح الإمام الكوراني أن الإشكال عند الشعراني أن الإفادة بالاستقلال لا بالغير وهو ليس بمراد؛ لاستحالته؛ لأن المعدوم لا فعل له فضلا عن الاستقلال فيه، فالعلم عند تعلقه بالمعلوم يكشفه علي ما هي عليه في ذاته.

---

(١) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٢) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٣) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٤) المسلك القويم اللوحة الرابعة.

(٥) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ج١/ ص ١٥٣ : ١٥٤.

(٦) المسلك القويم اللوحة الرابعة.

(٧) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٨) المسلك القويم اللوحة الرابعة والخامسة.

يقول الإمام الكوراني:(وقوله: (فهو مساوق للعلم الإلهي) لكونه علي هذه الصورة في حال عدمه الأزلي له بمقتضى استعداده الأزلي، فهو أزلي كالعلم ومتقدم عليه بالرتبة؛ لأن تعلق العلم أضافة تقتضى طرفين متقدمين عليه بالرتبة؛ فالمعلوم متقدم عليه بالرتبة، وعند تعلقه به يكشفه علي ما هي عليه في ذاته، وهذا معنى قوله:(لأنه بذاته أعطاه العلم به) كما يوضحه قوله قبل هذا: فافهم ما ظهروا لنا حتي علمناهم وهم معدومون إلا بما ظهروا به في الوجود من الأحوال، فظهورهم لله تعالي أزلا في حال عدمهم إلا بما ظهروا به في الوجود من الأحوال هو إعطاؤهم بذواتهم الحق تعالي العلم بهم، لا الإفادة استقلالا كما هو المتبادر من قوله:(لأنه بذاته أعطاه العلم بنفسه)لأن قوله: (بذاته) مقابل لقولك: (بغيره) وما يعطي العلم بذاته لا بغيره فهو مستقل بالإفادة مع أنه لا علم له بعد الوجود إلا بالله فيرد الإشكال بقوله: (كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسك إلا بك)[١] لكنه قد تبين أن الإفادة بالاستقلال لا بالغير ليس بمراد؛ لاستحالته؛ لأن المعدوم لا فعل له فضلا عن الاستقلال فيه، بل المراد ما ذكر، وإذا كان معنى إعطائه الحق تعالى العلم بنفسه مما ذكرناه من كون العلم تابعا للمعلوم زال الإشكال المذكور في قوله:(كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك[٢] ؛ لأن الإشكال إنما يرد لتوهم المنافاة بين الاستقلال في العدم وعدم الاستقلال في الوجود، وإذا انتفى الاستقلال ببيان المراد لم يبق إشكال في كونه بعد وجوده، صح أنه لا يعلم نفسه إلا بك؛ وإنما كان الممكن لا يعلم نفسه إلا بك؛ لأنه لا علم له إلا بوجوده ولا وجود له إلا بالله فلا علم له إلا بالله، وما كان بالله فهو لله، وإلى الله ترجع الأمو, ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، والحمد لله رب العالمين)[٣].

بتلك المناقشة دفع الإمام الكوراني ما ذكره الإمام الشعراني حول تلك المسألة من غيوم كما يلي:

١ـ حصر الشعراني حل تلك المسألة بكلام أهل الكشف فقط، ويزول بما نقله الكوراني عن أهل النظر.

٢ـ ما نقله الشعراني عن أهل الكشف ليس حل لهذه المسألة.

٣ـ مواضع الاستشهاد التي نقلها الشعراني ليست جوابا لما أورده من استشكال.

٤ـ الممكنات لا تعطي الحق تعالى علما جديدا لكونها محتاجة إليه تعالى وجودا وعدما.

٥ـ تعلق علم الله تعالى بالعالم أزلا وأبدا تعلق انكشاف، وليس تعلق إفادة؛ لأن العلم تابع للمعلوم.

---

(١) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٢) الفتوحات المكية ج٧/٢٢٧.

(٣) المسلك القويم ، اللوحة: الخامسة.

٦ـ الممكنات معلومة لله؛ لأنها متميزة في ذاتها في حال عدمها.

٧ـ العلم تابع للمعلوم على ما هو عليه في نفسه وعليه يجب التسليم والتفويض بالقضاء والقدر.

٨ـ الحجة البالغة لله على عبادة نتيجة أن العلم تابع للمعلوم على ما هو عليه في نفسه.

٩ـ عندما استشهد الشعراني بكلام ابن عربي لم يتحر الدقة في نقله لأنه أضاف له ما ليس في محله.

١٠ـ الإشكال يتوهم المنافاة بين الاستقلال في العدم وعدم الاستقلال في الوجود.

الخاتمة

أ/أهم نتائج البحث:

١ـ هناك اتفاق بين أهل الكشف وأهل النظر في تلك المسألة وإن وجد فلفظي.
٢ـ مضت المقادير بما سبق به علم الله في الأزل، فلا يزاد فيه ولا ينقص لمقتضى علمه.
٣ـ يظهر الله ما شاء مما سبق به علمه وحكمه، وتعلقت به قدرته.
٤ـ العلم كاشف والإرادة تخصص والقدرة تعدم وتوجد.
٥ـ العلم الإلهي لا يستفد مما توجده القدرة فيما لا يزال.
٦ـ الممكنات معلومة لله؛ لأنها متميزة في ذاتها في حال عدمها.
٧ـ المحدثات ما شمت رائحة الوجود حال عدمها.
٨ ـ عند حديثهما عن الأعيان الثابتة أو الماهية تحدثا عن مواطن تحققها (نفس الأمر ـ الذهن ـ الخارج).
٩ـ رفع ما استشكل على الإمام الشعراني في تلك المسألة من قبل الإمام الكوراني كان بحيادية مطلقة.
١٠ـ عندما استشهد الشعراني بكلام ابن عربي لم يتحر الدقة في نقله؛ لأنه أضاف له ما ليس في محله.
١١ـ لولا أن الأعيان معلومة للحق ما كان وجود ما وجد منها بأولى من عدمه.
١٢ـ انتهى الشعراني أن هناك آيات يوهم ظاهرها أن العلم الإلهي يستفد مما توجده القدرة فيما لا يزال.
١٣ـ توصل الإمام الشعراني أن هذه الإشكالية لا تحل إلا عن طريق الكشف الصحيح.
١٢ـ الإمام الكوراني لا ينساق وراء من سبقه حتى ولو تابعا له في المذهب بل كان يستقل برأيه الخاص ويؤكده بالكتاب والسنة والعقل والكشف وبكلام من خالفه في الرأي.

ب/أهم التوصيات:

١ـ عدم مخالفة ظاهر الشرع، ومحاولة التوفيق بينه وبين العقل، ودرء ما يوهم ظاهره بينهما من تعارض.
٢ـ محاولة الاستدلال بكل ما يوصل للحقيقة من: لغة، ونقل، وعقل، وإجماع.
٣ـ أوصي بدراسة المنطلقات لكل مذهب من المذاهب.
٤ـ أوصي أيضا بمحاولة درء ما يوهم ظاهره التعارض بين أهل السنة وأهل الكشف.
٥ـ دراسة الصفات الإلهية عامّة، والتعلقات بشكل خاص؛ لمواكبة المستجدات في العصر الحديث.
٦ـ يجب أن يستسقى رأي كل فرقة من أصولهم المعتمدة عندهم.
٧ـ أوصي من يطلع على هذا البحث أن يضع لمساته عليه؛ لكي تتضح الصورة أكثر وأكثر.

٨- أوصي بالتكامل بين علماء البرهان والعرفان في الموضوعات التي يوهم ظاهرها التعارض.

٩- أوصي بإقامة دراسة مقارنة بين أهل الكشف والنظر بما يسهم في بيان تمايز منهجهم .

١٠- أوصي بدراسة المنهج الصوفي الإشراقي؛ لأنه يصعب على الدارسين فضلا عنا المتخصصين.

وفي النهاية أقول: حسبي أني بذلت ما استطعت، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

١. القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية للعالم الرباني سيدي عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (٨٩٨- ٩٧٣هـ) تحقيق أحمد عبد الرازق البكري مكتبة أم القرى.

٢. الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للعالم الرباني سيدي عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (٨٩٨- ٩٧٣هـ) تحقيق لجنة التراث الدار دار صادر بيروت ، دار البشائر دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٣. كشف الغمة عن جميع الأمة للشعراني (٨٩٨- ٩٧٣هـ) حققه محمد عبد القادر شاهين مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٧.

٤. المنح السنية على الوصية المتبولية تأليف الإمام العارف بالله عبد الوهاب الشعراني الناشر مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م

٥. البحر المورود في المواثيق والعهود تأليف الإمام العارف بالله عبد الوهاب الشعراني الناشر مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م

٦. الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري الشعراني دار الفكر.

٧. الأنوار القدسية في بيان آيات العبودية تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري الشعراني دار الفكر.

٨. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر. تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري الشعراني دار الفكر.

٩. فصوص الحكم للشيخ محي الدين ابن عربي بقلم أبو العلى عفيفي دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

١٠. الفتوحات المكية لابن عربي دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

١١. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام النسفي اعتنى به عبد المجيد طعمه حلبي ط دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ .

١٢. شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة لأبي البركات النسفي تحقيق الأستاذ الدكتور / عبدالله محمد عبدالله إسماعيل الطبعة الثانية ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م ط دار الطباعة.

١٣. الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعري ط إدارة الطباعة الأميرة.

١٤. كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للإمام أبي الحسن الأشعري المتوفي سنة

١٥. العقيدة الركنية في شرح لا إله إلا الله محمد رسول الله لركن الدين عبيد الله بن محمد السمرقندي المتوفي سنة ٧٠١ هـ = ١٣٠١م . تحقيق ودراسة مصطفى سنان أوغلي إسطنبول ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨.

١٦. المعتزلة / لزهدي حسن جارالله مطبعة مصر القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

١٧. في علم الكلام د/ أحمد محمود صبحي ط النهضة العربية الطبعة الخامسة.١٤٠٥هـ

١٨. تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام للسنندجي ط ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥ .

١٩. غاية المرام في علم الكلام للآمدي ت حسن عبد اللطيف ط القاهرة ١٣٩١ هـ = ١٩٧١م .
٢٠. الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ت عبد الفتاح الحلو (مصر ١٩٩٣م)
٢١. الاعلام للزركلي / ط العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الرابعة عشر ١٩٩٩م .
٢٢. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ط إحياء التراث العربي بيروت .
٢٣. تاريخ الإسلام السياسي والديني د حسن إبراهيم ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م .
٢٤. الكامل في التاريخ لأبن الأثير دار صادر بيوت ١٩٧٩م .
٢٥. معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٧ ط دار صادر بيروت أخرى مكتبة السعادة
١١ . الأنساب للسمعاني تحقيق عبدالله البارودي ط / دار الجنان بيروت ط ١ ١٤٠٨هـ ٢٦
٢٧. كتائب أعلام الأخبار من فقهاء مذهب النعمان المختار للكفوي ط مكتبة السلمانية.
٢٨. أساس التقديس / للرازي / تحقيق عبدالله اسماعيل / ط المكتبة الأزهرية ١٤٣٥ هـ
٢٩. أصول للدين للبزدوي ت هانز ط المكتبة الأزهرية للتراث لعام ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م
٣٠. معالم أصول الدين للرازي / ت السقا / ط مكتبة الايمان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
٣١. الاعتماد في الاعتقاد للنسفي ت د عبدالله اسماعيل ط١/ ١٤٣١المكتبة الأزهرية للتراث.
٣٢. نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٣٦٩ ط المتنبي ت الفرد جيوم .
٣٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل . للزمخشري ط دار إحياء التراث العربي.
٣٤. تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار / ط دار النهضة الحديثة بيروت لبنان.
٣٥. الإبانة للإمام الاشعري الطباعة المنيرية .
٣٦. شرح العقائد النسفية للتفتازاني الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧ م.
٣٧. الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ت د إنصاف رمضان ط الأولى ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣.
٣٨. الجمل في النحو للخليل الفراهيدي ت : د. فخر الدين قباوة ط : الخامسة ١٤١٦هـ .
٣٩. المنية والأمل للقاضي عبد الجبار جمع ابن المرتضى ط / دار المعرفة ١٩٨٥م .
٤٠. العلم الشامخ للمقبلي ص ١٦٧. ط دار البيان بشير محمد عيون عام ١٩٨١م .
٤١. المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار تحقيق عمر السيد عزمي ط المؤسسة المصرية .
٤٢. التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض لابن متوية ت فيصل عون ط دار الثقافة بالقاهرة.
٤٣. منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر للقاري (١٤١٩هـ = ١٩٨٨).
٤٤. التهذيب للخبيصي على تهذيب المنطق للتفتازاني ط ٢٠٠٥ م .
٤٥. احياء علوم الدين للغزالي / ط الأرقم بن أبي الأرقم / تحيق عبدالله الخالدي .
٤٦. الكامل في التاريخ لابن الأثير ط دار صادر بيروت ١٩٧٩.
٤٧. التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي ط الطباعة المحمدية ط ١ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٤٨. اللمع للأشعري ت حمودة غرابة مكتبة الخنجي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٣١هـ٢٠١١م .
٤٩. التمهيد لقواعد التوحيد للملامشي / ت عبدالمجيد تركي / ط ١ دار الغرب ١٩٩٥.
٥٠. أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقه لأبي زهرة دار الفكر العربي الطبعة الثانية.
٥١. القاموس المحيط للفيروز آبادي / ت مكتبة التراث ط ٨ / ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م بيروت.
٥٢. الملل والنحل للشهرستاني ط دار المعرفة بيروت لبنان ط / ٦ ١٤١٧هـ = ١٩٩٧.
٥٣. العالم والمتعلم للإمام أبي حنيفة / الكوثري / ط المكتبة الأزهرية للتراث ط/ ١ /١٤٢١هـ
٥٤. الوصية للإمام أبو حنيفة الكوثري / ط المكتبة الأزهرية للتراث ط/١ / ١٤٢١هـ
٥٥. الفقه الأبسط لأبي حنيفة ت الكوثري / ط المكتبة الأزهرية للتراث ط ١ ١٤٢١هـ .
٥٦. أبو الحسن الأشعري د حمودة غرابة ط الأميرية بالقاهرة لعام ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .
٥٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير دار الكتب العلمية ط١/ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٥٨. الفرق بين الفرق للبغدادي ت/ دار إحياء التراث العربي بيروت ط٥/ ١٤٠٢هـ .
٥٩. صحيح مسلم ت/ محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦٠. الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي المتوفي عام ٧٥٦هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت .
٦١. التعريفات للجرجاني ضبطه محمد على أبو العباس مكتبة القرآن ٢٠٠٣ م .
٦٢. التبصير في الدين للإسفراييني ت الحوت ط عالم الكتاب بيروت ط١/ ١٤٠٣هـ .
٦٣. صحيح البخاري ط دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
٦٤. المعجم الوجيز/ طبعة وزارة التربية والتعليم .
٦٥. تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ الإمام محمد أبو زهرة / طبعة دار الفكر العربي .
٦٦. تأويلات أهل السنة للماتريدي ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٥ .
٦٧. حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام جوهرة التوحيد للإمام اللقاني ط الحلبي .
٦٨. حاشية الباجوري ت عبد السلام عبد الهادي ط دار الفرفور الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م
٦٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم / ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٧٠. شرح العقائد النسفية للتفتازاني ط المكتبة الأزهرية ٢٠١٢= ١٤٣٢هـ .
٧١. سير أعلام النبلاء للذهبي ط مؤسسة الرسالة ط / ٣/ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
٧٢. طبقات المفسرين للسيوطي ت علي محمد عمر / ط مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الأولى.
٧٣. كتاب التوحيد للماتريدي ت: د. فتح الله خليف ط / دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.
٧٤. لسان العرب لابن منظور الناشر دار صادر بيروت / الطبعة الثالثة لعام ١٤١٤هـ.

٧٥ . مختار الصحاح للرازي ت يوسف الشيخ / المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٧٦. مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ط حيدر آباد الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٧٧. مقالات الإسلاميين للأشعري ت محي الدين عبد الحميد ط بيروت ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.
٧٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ط دار صادر بيروت.
٧٩. الدرر الكامنة لابن حجر ت محمد جاد الحق (دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٦م) .
٨٠. الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتميمي ت عبد الفتاح الحلو ط دار هجر مصر.
٨١. تفسير الرازي ط دار الفكر ط الأولى ١٤٠١هـ = ١٩٨١ م .
٨٢. كتاب التسديد في شرح التمهيد للسغناقي ت شمس الدين كريم ط نور مبارك ٢٠١٦.
٨٣. كتاب الإرشاد للجويني ط مكتبة الحلبي مصر .١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م.
٨٤. تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ط دار النهضة الحديثة.
٨٥. الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين ت هلموت كلوبفر ١٩٥٩ م .
٨٦. التمهيد في بيان التوحيد للكيشي ت ساعة مراد بريموف ط طشقند ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.
٨٧. المسايرة للكمال بن الهمام ط الأولى القدس.
٨٨الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للشعراني ت/ لجنة التراث بيروت الطبعة الأولى.
٨٩. الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكي تحقيق الدكتور طه حبيشي الجيزة ١٩٨٧م.
٩٠. البحر المورود في المواثيق والعهود للشعراني الناشر مكتبة الثقافة الدينية.
٩١- إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام /للكوراني الفن توحيد بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧/ ميكروفيلم ٢٩٩٣٧من ص,١٦:٢٩٣
٩٢- إمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد/ رسالة ماجستير أصول الدين القاهرة /للباحث سعيد عبدالله حسن/ إشراف الدكتور طه الدسوقي حبيشي,١٩٩٤
٩٣- تنبيه العقول على تنزيه الصوفية عن اعتقاد التجسيم والعينية والاتحاد والحلول/ الفن تصوف وهو موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٠٨/ ميكروفيلم ,١٢٣٢٦
٩٤- جلاء الفهوم في شيئية المعدوم/ رسالة ماجستير أصول الدين القاهرة /للباحث مديح عبدالله حسن/ إشراف الدكتور طه الدسوقي حبيشي٢٠٠٢/ ١٤٢٣هـ.
٩٥- قصد السبيل بتوحيد العلي الكبير/ وهو مخطوط تحدث في علم التوحيد دار الكتب المصرية رقم ٣٢٨/ ميكروفيلم ,٨٠٤٩
٩٦- مسلك السداد إلى مسألة خلق أفعال العباد/ الفن توحيد دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧ميكروفيلم ,٢٩٩٣٧
٩٧- المسلك القويم في مطابقة تعلق القدرة بالحادث لتعلق العلم القديم توحيد مكتبة الأزهر تحت رقم ٣٩٨٨ وعمومي ,٤١٩٧٦

٩٨- مطلع الجود بتحقيق التنزيه في وحدة الوجود تصوف مكتبة الأزهر تحت رقم ٩٢٧ عمومي ,٣٣٥٦١
٩٩- مطلع النيرين في ما يتعلق بالقدرتين / للشيخ محمد الأمير / ط المطبعة العمومية ١٨٩٦م.
١٠٠- الدرة الفريدية على الكلمة التوحيدية/ لعلي الصعيدي العدوي ط المطبعة العمومية ١٨٩٦م.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

1 taelimat alkashf ean almuadihat ayat alzalam wal'iibtiat lieilaj alrabaanii sayidi eabd alwahaab bn 'ahmad alhayranii (898 973hi) tahqiq 'ahmad eabd alraaziq albakri maktabat 'umi alquraa.

2 al'anwar alqudusiat fi bayan mutatalibatiat lilrabaanii sayidi eabd alwahaab bn 'ahmad alhayanii (898 973hi) tahqiq lajnat alturath aldaar dar sadir bayrut , dar albashayir dimashq altabeat al'uwlaa 1999m.

3 kashf alghumat ean jamie al'umatani al'iintaj (898 973hi) haqaqah muhamad eabd alqadir shahin matbaeat dar alkutub aleilmiat bayrut lubnan altabeat althaaniat sanatan 2007.

4 alnaamus alsuniyat ealaa alwasiat almutabawiliat talif alearif biallah eabd alwahaab alshaeranii alnaashir maktabat althaqafat aleaqidat altabeat al'uwlaa 1424hi = 2004m

5 albahr almawrud fi almawathiq waleuhud talif al'iimam alearif biallah eabd alwahaab alshaeranii alnaashir maktabat althaqafat aleaqidat altabeat al'uwlaa 1424hi = 2004m

6altabaqat alkubraa albidayat bilawaqih al'anwar fi tabaqat al'akhyar talif almawahib eabd alwahaab bin eali al'ansarii alshaeraniu dar alfikri.

7 al'anwar alqudusiat fi bayan ayat aleubudiat talif almawahib eabd alwahaab bin ealii al'ansarii alshaeraniu dar alfikri.

8 alyawaqit waljawahir fi bayan eaqayid al'akabir. talif almawahib eabd alwahaab bin eali al'ansarii alshaeraniu dar alfikri.

9 fasawis alhukm lilshaykh muhi aldiyn aibn earabiin biqalam 'abu alealaa lubnan eafifi dar alkutaab alearabii bayrut.

10 alfutuhat almakiyat liabn earabiin dar alkitaab alearabii bayrut lubnan altabeat al'uwlaa 1420h /1999m.

11 tafsir alnisafii ('aqsamuk altanzilat wahaqayiq altaawili) lil'iimam alnisfii aietanaa bih eabd almajid taemuh halabi t dar almaerifat bayrut lubnan altabeat al'uwlaa 1421h = 2000 .

12 sharh aleumdat fi eaqidat 'ahl alsunat waljamaeat li'abi albarakat alnisfi tahqiq al'ustadh alduktur / eabdallah muhamad eabdallah 'iismaeil altabeat althaaniat 1431h = 2010m t dar altibaeati.

13 al'iibanat 'usul ean aldiyanat lil'iimam al'ashearii t 'iidarat altibaeat al'amirati.

14 kitab allamae fi alradi ealaa 'ahl alziygh walbidae lil'iimam 'abi alhasan al'ashearii almutawafiy sanatan

15 aleaqidat alrukniat fi sharh la 'iilah 'iilaa allah muhamad rasul allah lirukn aldiyn eubayd allah bn muhamad alsamarqandii almutawafiy sanat 701 hi = 1301m . tahqiq wadirasat mustafaa snan 'uwghli 'iistanbul 1429h = 2008.

16 almuetazilat / lihady hasan jarallah matbaeat misr alqahirat 1366 hi = 1947 m .

17 fi eilm alkalam du/ 'ahmad mahmud 'asbahi t alnahdat alearabiat altabeat alkhamisata.1405h

18 taqrib almaram fi sharh tahdhib alkalam lilsinndaji t 1426h = 2005 .

19 ghayat almaram fi eilm alkalam lilamdi t hasan eabd allatif t alqahirat 1391 hi = 1971m .
20 aljawahir almudiyat fi tabaqat alhanafiat lilqurashii t eabd alfataah alhulw (misr 1993m)
21 alaelam lilzirikalii / t aleilm lilmalayin bayrut lubnan altabeat alraabieat eashrat 1999m .
22 muejam almualifin lieumar rida kahalat tayf alturath alearabii bayrut .
23 tarikh al'iislam albutikiu waldiyniu hasan 'iibrahim tahi alkutub alsaadirat 1967 m .
24 alkamil fi altaarikh li'abn al'uthir dar sadirat biut 1979m .
25 muejam al'asnaf liaqut alhamawii 47 t dar bayrut 'ukhraa maktabat alsaeada 11 al'ansab lilsimeanii 'iinjaz eabdallah albarudiu t / dar aljinan bayrut t 1 1408h 26
27 katayib 'aelam al'akhbar min fuqaha' dhahab alnueman almukhtar kafawi t maktabat alsalmaniati.
28- 'asas altaqdis / lilraazi / tahqiq eabdallah aismaeil / t almuasasat al'azhariat 1435 hu
29- 'usul lildiyn lilbizdawi t hanz t almaktabat al'azhariat lilturath aleami 1424h = 2003m
30 maealim 'usul aldiyn lilraazii / t alsaqaa / t maktabat alayman 1420h = 1999m
31 aliaetimad fi almustanad lilnisfii t d eabdallah asmaeil ta1/ 1431almaktabat al'azhariat liltarathi.
32 nihayat almashy fi eilm alkalam lilshihristani s 369 t almutanabiy t alfard jium . 33 alkashaaf ean haqayiq altanzilat waeuyun al'aqawil . lilzamakhshari t dar alturath alearabii.
34 tanzih alquran ean almataein lilqadi eabd aljabaar lubnan / t dar alnahdat alhadithat bayrut.
35 al'iibanat lil'iimam alasheirii altibaeat almuniria .
36 sharh alqayid alnasfiat liltiftazani altabeat al'uwlaa 1428hi = 2007 mi.
37 almusajal fi almusajil lilghazalii t 'iinsaf ramadan t al'awal 1423h = 2003.
38 aljamal fi alnahw lilkhalil alfarahidi t : du. fakhr aldiyn qabawat t : alkhamisat 1416h .
39 almaniat wal'amal lilqadi eabd aljabaar jame abn almurtadaa t / dar almaerifat 1985m .
40 aleilm alshaamikh lilmuqbilii s 167. t dar albayan bashir muhamad euyun eam 1981m .
41 almuhit bialkilif lilqadi eabd aljabaar tahqiq eumar alsayid eazmay almuasasat altaelimia . 42 altadhkirat fi tanzil aljawahir wal'aerad liabn mutawiat t faysal eawn t dar althaqafat bialqahirihi.
43 alrawd al'azhar fi sharh alfiqh al'akbar lilqariyi (1419h = 1988).
44 altahdhib lilkhubasii ealaa altahdhib mantiq liltiftazani t 2005 m .
45 ahya' eulum aldiyn lilghazalii / t al'arqam bn 'abi al'arqam / tuhiq eabdallah alkhalidi .
46 alkamil fi altaarikh liabn al'athir t dar sadirat bayrut 1979.
47 altamhid liqawaeid altawhid lilnisfii t altibaeat almuhamadiat t 1 1406h = 1986m .

48 allamae lil'asheurii tahmudat gharabat maktabat alkhinji bialqahirat altabeat al'uwlaa 1431h2011m .
49 altamhid liqawaeid altawhid lilamishii / t eabdalmajid turkii / t 1 dar algharb 1995.
50- 'abu hanifat hayatah waeasruh hakmuh li'abi zahrat alfikr dar altibi alearabii althaaniati.
51 alqamus almuhit lilfayruz abadi / tamaktabat alturath t 8 / 1426h = 2005m bayrut.
52 almulalil alnahl lilshihiristani t dar almaerifat bayrut lubnan t / 6 1417h = 1997.
53 alealam walmutaealim lil'iimam 'abi hanifat / alkawtharii / t almaktabat al'azhariat lilturath ta/ 1 /1421h
54 alwasiat lil'iimam 'abu hanifat alkawtharii / t almaktabat al'azhariat lilturath ta/1 / 1421h
55 alfiqh al'absat li'abi hanifat t alkawtharii / t almaktabat al'azhariat lilturath t 1 1421h .
56- 'abu alhasan al'asheariu d hamuwdat gharabat t al'amiriat bialqahirat lieam 1393h = 1973m .
57- 'asad alghabat fi maerifat alsahabat liabn alathir dar alkutub aleilmiat ta1/ 1415h - 1994m.
58 farq bayn alfiraq alghadadii ti/ dar alturath alearabii bayrut ta5/ 1402h.
59 sahih muslim ta/ muhamad fuaad eabd albaqi alnaashir: dar alturath alearabii - bayrut.
60 al'iibhaj fi sharh alminhaj lilsabkii almutawafiy eam 756hu tabeat dar alkutub aleilmiat bayrut .
61 taearif liljirjanii dabtuh muhamad ealaa 'abu aleabaas maktabat alquran 2003 m .
62 altabsir fi aldiyn lilsifraynii t alhut t ealam alkitab bayrut ta1/ 1403h.
63 sahih albukharii t dar tawq alnajat altabeat al'uwlaa 1422h .
64 almuejam alwujiz/ tabeat wizarat altarbiat waltaelim .
65 tarikh almadhahib al'iislamiat lilshaykh muhamad 'abu zahrat / tabeat dar alfikr alearabii .
66 tawilat 'ahl alsunat lilmatridi t dar alkutub aleilmiat bayrut altabeat al'uwlaa 2005 .
67 hashiat muhamad al'amir ealaa sharh eabd jawhar alsalamuh altawhid lil'iimam alliqani t alhalabii .
68 hashiat albajuri t eabd alsalam eabd alhadi t dar alfurfur al'uwlaa 1421h = 2001m
69 hilyat al'awlia' watabaqat al'asfia' li'abi naeaym lubnan / t dar alkutub aleilmiat bayrut .
70 sharh alqayid alnisfii liltiftazanii t almaktabat al'azhariat 2012= 1432h .
71 sayr 'aelam alnubala' lildhahabii t muasasat alrisalat t / 3/ 1405 hi / 1985 m
72 altabaqat almufasirin lilsuyutii t eali muhamad eumar / t maktabat wahbat - alqahirat altabeat al'uwlaa.
73 kitab altawhid lilmatridi ti: du. fath allah khalif t / dar aljamieat bial'iiskandariati.
74 lisan alearab liabn wijhat alnaashir dar bayrut / altabeat althaalithat lieam 1414hi.

75 mukhtar alsahabat lilraazi t yusif alshaykh / almuasasat aleamat bayrut 1420h / 1999m .
76 manaqib al'iimam 'abi hanifat wasahibayh lildhahabii t haydar abad alhinda, altabeat althaalithatu, 1408hi.
77 maqalat 'iislamiat lil'asheuri t muhi aldiyn eabd alhamid t bayrut 1411h = 1990m.
78 wafayat al'aeyan wa'anba' 'abna' alzaman liabn khalkan t dar sadir bayrut.
79 aldarar alwujud liabn hajar t muhamad jad alhaqi (dar alkutub alhadithati, misr 1966m) .
80altabaqat alsuniyat fi tarajim alhanafiat liltamimii t eabd alfataah alhulw t dar hajr masr.
81 tafsir alraazii t dar alfikr t al'uwlaa 1401h = 1981 m .
82 kitab altasarue fi sharh altartib lilghinaqii t shams aldiyn karim t nur mubarak 2016.
83 kitab daewat liljuaynii t maktabat alhalabii misr .1369hi = 1950m.
84 tanzih alquran alhadith ean almataein lilqadi eabd aljabaar t dar alnahdati.
85 alshaamil fi 'usul aldiyn li'iimam alharamayn t halmut klubifr 1959 m .
86 altamhid fi bayan altawhid lilkishii t saeat murad brimuf t tashqand 1435h = 2014m.
87 almasirat lilkamal bin alhumam t al'uwlaa alquds.
88al'anwar alqudsiat fi bayan mutatalibatiat alkhiatatania ta/ lajnat alturath bayrut altabeat al'uwlaa.
89 muraeat baqa' aljanat walnaar lilsabki tahqiq alduktur tah hibishi aljizat 1987m.
90 albahr almawrud fi almawathiq waleuhud alziraeiat alnaashir maktabat althaqafat aldiyniati.
91– 'iifadat alealamit alshaamilat liljumlat /lilkuranii alfanu tawhid bidar alkutub taht raqm 257/ mikrufilm 29937min si293:16.
92 talib muetamad lisuluk maslak alsadadi/ risalat majistir aldiyn alqahirat /lilbahithin saeid eabdallah hasan/ alduktur alduktur tah aldasuqi hbishi1994.
93 tanbih aleuqul ealaa tanzih alsuwfiat ean thiqat altajsim waleayniat alnaashiat walhululi/ alfanu tasawwf wahu mawjud bidar alkutub alsaadirat taht raqm 308/ film mikrusuft 12326.
94 jala' alfahum fi shay' almaedum/ risalat majistir aldiyn alqahirat /llbahith madih eabdallah hasan/ alduktur alduktur tuh aldasuqi hbishi2002/ 1423hi.
95 qasad alsabil bitawhid aleali/ wahu makhtut saghir tatahadath fi eilm altawhid dar alkutub almisriat raqm 328/ film 8049.
96 maslak alsadad 'iilaa mas'alat khalq 'afeal aleibadati/ alfanu tawhid dar alkutub aleilmiat taht raqm 257mikrufilm 29937.
97 almaslak alqawim fi majal alaihtimam bialqudrat bialhadith limawdue aleilam alqadim tawhid maktabat al'azhar taht raqm 3988 waeumumi 41976.
98 kun ealaa dirayat bialwujud altanzih fi wahdat alwujud tasawwf maktabat al'azhar taht raqm 927 eumumi 33561.

99 lam yaelam alniyrin fi ma yataealaq bialqudratayn / lilshaykh muhamad al'amir / tayifat 1896m.
100 aldurat alfaridat ealaa alkalimat altawhidiati/ lieali alsaeidii alaihtilalii t almatbaeat fransisku 1896m.